قراءة في خطبة الفتح الصلاحي لبيت المقدس

Karim Farouk Ahmed ABDELDAİM (*)

قراءة في خطبة الفتح الصلاحي لبيت المقدس

ملخص

يهتم البحث بخطبة ابن الزكي في بيت المقدس بعد فتح صلاح الدين الأيوبي له، فقام بتحقيقها من مصادرها ورصد الفروق بينها، ثم دراستها أملا في الوصول إلى دلالاتها الكلية والجزئية وتأثيرها في المتلقين؛ في ضوء المنهج الأسلوبي الحديث المستمد من اللغة والبلاغة؛ فيرصد مستويات الأسلوب من صوت وصرف وتركيب وتصوير ودلالة جامعا بينها مع الإفادة من المناهج النقدية الأخرى والمقولات النظرية.

الكلمات المفتاحية: بيت المقدس، خطبة، فتح، قراءة، صلاح الدين.

Selahaddin'in Beyt-ul Makdis'in Fetihindeki Hutbesini İnceleme

Öz

Bu araştırma; Selahaddin'in Beyt-ül Makdisi fethetmesinden sonra İbni Zeki'nin oradairad ettiği hutbesini ele almaktadır. Hutbenin kaynakları araştırılacak, aralarındaki farklılıkları ortaya çıkarılacaktır. Ayrıca dil, belagat ve modern üslup yaklaşımları ışığında okuyucular üzerindeki etkisi incelenecektir. Edebi eleştiri teorilerinden faydalanılacaktır.

Anahtar Kelimeler: *Beyt-ül Makdis, Hutbe, Fetih, İnceleme, Selahaddin.*

*) Yrd. Doç. Dr., Bozok Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Arap Dili ve Belagatı Ana Bilim Dalı (e-posta: karimel_kholy@yahoo.com).

Read in the Liberation Speech of Jerusalem

Abstract

The Researcher is interested in speech of Ibnozzaki in Jerusalem after liberated by Saladin, so the researcher achieved the speech from the sources and revealed the differences between them, then he studied it in the hope of access to their Semantic and effects on the recipients; in view of the modern stylistic derived from the Linguistic and rhetoric; revealing stylistic levels from Phonetics, Morphology, Syntactic, depiction, and the Semantic, with benefit from other Literary Criticism curriculums and theoretical statements.

Keywords: *Jerusalem, Speech, Liberation, Read, Selahaddin.*

تقديم:

لبيت المقدس في نفوس المسلمين منذ بعث الله تعالى رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام إلى الناس كافة؛ منزلة خاصة إذ كان القبلة الأولى لصلاته ومن معه من المؤمنين مدة من الزمن، كما ارتبط بالمعجزات التي خص الله تعالى به نبينا صلى الله عليه وسلم عندما أسري به من البيت الحرام إليه وأم فيه الأنبياء والملائكة وعرج به منه إلى السموات العلا.

ولمنزلته تواترت عليه جيوش الصحابة رضوان الله عليهم لفتحه وتحريره من أيدي الروم ونشر دين التوحيد فيه، وتسلمه فاروق الأمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- بنفسه، وكان لما رسخه الرسول صلى الله عليه وسلم في أذهانهم من منزلة بيت المقدس وتعليقه قلوبهم به؛ أثر عظيم في ذلك الفتح، فعلى الرغم من اضطلاعه بنشر دين التوحيد وإنشاء أول مجتمع إسلامي في المدينة المنورة إلا أن "ذلك لم يمنعه نهائيا من البدء في الاستعدادات للحملة من خلال التهيئة المستمرة لصحابته بإيقافهم على خططه

الاستراتيجية لبيت المقدس وكانت البداية بإعطاء البشائر الطيبة بأن المسلمين سيفتحون بيت المقدس"[1].

كما تواترت عليه جيوش المسلمين من كل مكان بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي لاسترداده من أيدي الصليبيين وكان ذلك بعد حروب بدأها أسلافه مع تهيئتهم المسلمين للفتح الثاني حتى تم لصلاح الدين نيل شرف تحريره وإعادة دين التوحيد إلى ربوعه وبسط السيادة الإسلامية عليه، وخلد بهذا الشرف ذكره على مر العصور. ولارتباط خطبة الجمعة التي صدح بها ابن الزكي في بيت المقدس ومسجده الأقصى باحتفال المسلمين والجيوش الصلاحية بالفتح الثاني؛ يعد إلقاء الضوء عليها بالاستقراء والتحليل ورصد دلالاتها كاشفا عن مظاهر ذلك الاحتفال، ومستدعيا أجواء النصر التي عاشها أولئك الفاتحون الصلاحيون لعل ذلك الاستدعاء يكون مذكرا بمنزلة بيت المقدس في صدور المسلمين، فضلا عن الكشف عما تضمنته الخطبة من دلالات كارتباط سيادة المسلمين على بيت المقدس بالمكيال الذي توزن به عزتهم وقوة وحدتهم ومدى اتباعهم نهج الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم.

ولذا انصب اهتمامنا على خطبة الفتح الصلاحي لبيت المقدس وعكفنا على دراستها بغية الوصول إلى دلالاتها الجزئية والكلية بمنهج يعتمد على الاستقراء والتحليل ورصد الظواهر اللغوية التي تميزها بالإفادة من الدرس الأسلوبي الحديث الذي يستقي أدواته من اللغة والبلاغة، فيرصد مستويات الأسلوب من صوت وصرف وتركيب وتصوير ودلالة جامعا بينها، مع الإفادة من المناهج النقدية الأخرى والمقولات النظرية. ولتعدد

[1] د. عبد الفتاح العويسي المقدسي، صناعة التاريخ المستقبلي- نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة وتوجيهها، ص133، دار الخلدونية، الجزائر، ط2، 2013م.

المصادر التي وردت فيها الخطبة واختلاف بعض المفردات فقد آثر البحث تحقيق الخطبة للوصول إلى الغاية المرجوة من الاستقراء والتحليل ورصد الظواهر اللغوية.

وقسم البحث على قسمين:

القسم الأول يشمل: المقدمة، والكشف عن المنهج، والخطيب، وموعد الخطبة وأهميتها.

القسم الثاني يشمل: الخطبة، وتحليل عناصرها:

- البدء بآيات الحمد.
- استرداد بيت المقدس من مظاهر عزة المسلمين.
- استحقاق المسلمين السيادة على بيت المقدس بإخلاص العبادة.
- منزلة بيت المقدس وأهميته.
- تشريف الفاتحين المسلمين باسترداد بيت المقدس وفضل بيت المقدس عليهم.
- استرداد بيت المقدس نعمة تقتضي الشكر والحفاظ عليها.
- بيت المقدس نقطة الانطلاق لاستكمال الجهاد والفتح.
- تشريف قائد الفتح الإسلامي والانطلاق إلى حكم العالم.

خلاصة القراءة.

ثبت المصادر والمراجع.

الخطيب:

هو أحد أحفاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: "محمد بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي: قاضي قضاة الشام محيي الدين، أبو المعالي ابن قاضي القضاة زكي الدين أبي الحسن ابن قاضي القضاة المنتجب، أبو المعالي

ابن قاضي القضاة الزكي أبي الفضل القرشي، الدمشقي، الشافعي. ولد سنة خمسين وخمسمائة، وقرأ المذهب على جماعة. وسمع من: والده، وعبد الرحمن بن أبي الحسن الداراني، وسعيد بن سهل الفلكي، والصائن هبة الله بن عساكر، وأبي المكارم عبد الواحد بن هلال، وجماعة. وهو من بيت القضاء والحشمة والأصالة والعلم. روى عنه: الشهاب القوصي في معجمه، والمجد بن عساكر، وغيرهما. وبالإجازة أحمد بن أبي الخير. وعاش ثمانيا وأربعين سنة. وكان أديبا، منشئا، بليغا، مُدرَها، فصيحا، مفوَّها"[1]. وتلك الصفات التي أوردتها المصادر عن ابن الزكي تعبر عن تميزه عن غيره إذ كان عمره آن ذاك ثلاثا وثلاثين سنة، مما يعني أنه تخطى من كان يكبره سنا من المشهورين من شيوخ المسلمين وعلمائهم ليخطب هو تلك الخطبة في ذلك اليوم المبارك الذي تترقب الآن جموع الأمة الإسلامية تكراره، ولعل ما أهله لذلك بجانب تميزه ما تضمنته خطبته من دلالات.

موعد الخطبة وأهميتها:

أما موعد الخطبة فكان في يوم الجمعة الرابع من شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وهي الجمعة التالية لتسلم المسلمين بيت المقدس[2]، وهو ما أورده العماد الأصفهاني الذي عاصر فتح بيت المقدس بقوله: "فلما دخل يوم الجمعة رابع شعبان

---

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام، ج42، ص367، ت. عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1993م. وانظر ترجمته: ابن كثير، البداية والنهاية، ج16، ص717 وما بعدها، ت. عبد الله التركي، دار هجر، 1997. والصفدي، الوافي بالوفيات، ج4، ص122 وما بعدها، ت. أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 2000م. والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج6، ص157 وما بعدها، ت. محمود الطناحي، دار هجر، ط2، 1413هـ. وابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج2، ص39 وما بعدها، ت. الحافظ خان، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ. وابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص229 وما بعدها، ت. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م.

[2] المشهور عند المؤرخين أن صلاح الدين تسلم بيت المقدس يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، وسيأتي إيراد ذلك.

أصبح الناس يسألون في تعيين الخطب السلطان .. وأوعز إلى القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين علي القرشي بأن يرقى ذلك المرقى"[1].

والواضح مما نقل عن المؤرخين التحضير لهذه الخطبة بتطهير المسجد الأقصى من مظاهر الشرك والدنس لا سيما الصلبان وحوانيت الخمر، وذلك مفهوم مما نقله ابن العديم: "وتسلم القدس في يوم الجمعة السابع والعشرين من شهر رجب، وأقيمت صلاة الجمعة فيه، في الجمعة التي تلي هذه، وهي رابع شعبان. وخطب بالناس محيي الدين بن زكي الدين، وهو يومئذ قاضي حلب، وأزيلت الصلبان من قبة الصخرة، ومحراب داود، وأزيل ما كان بالمسجد الأقصى من حوانيت الخمارين"[2].

ومما صرح به العماد الأصفهاني الذي شارك في التطهير: "وكان الأقصى بلا محرابه مشغولا بالخنازير والخنا مملوءا بما أحدثوا من النسى مغمورا بالنجاسات حتى حرم علينا في تطهيره منا ألوفا"[3]

ومما نقله أبو شامة المقدسي عن العماد أيضا: "قال العماد في كتاب البرق لما كان يوم الجمعة التالية لجمعة الفتح تقدم السلطان في المسجد الأقصى ببسط العراص وإخلائها لأهل الإخلاص وتنظيفها من الأدناس وكنس ما في أرجائها من الأرجاس"[4].

وهذا التحضير لا يدل على منزلة بيت المقدس عند المسلمين فحسب، بل ويدل على أهمية الخطبة التي مثلت احتفال المسلمين باسترداد بيت المقدس من أيدي الغزاة الصليبيين؛ ولتلك الأهمية تسابق علماء المسلمين لنيل شرف الخطابة في ذلك اليوم

---

[1] العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص77، دار المنار، 2004م.

[2] ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ص412، ت. خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

[3] الفتح بن علي البنداري، سنا البرق الشامي مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، ، ص312، ت. فتحية النبراوي، الخانجي، القاهرة، 1979م.

[4] أبو شامة المقدسي، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج3، ص381، ت. إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

المشهود واهتم السلطان صلاح الدين باختيار من يرتقي ذلك المرقى المبارك؛ إذ: "لما فتح السلطان القدس الشريف تطاول إلى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا معه في خدمته حاضرين وجهز كل واحد منهم خطبة بليغة طمعا في أن يكون هو الذي يعين لذلك فخرج المرسوم إلى القاضي محي الدين أبي المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان"[1].

ولتلك الأهمية أيضا احتشد المسلمون على اختلاف فئاتهم في بيت المقدس فرحا بفتحه واجتماعا لشكر الله بالصلاة والدعاء، فمما أورده القاضي ابن شداد أحد معاصري الفتح: "وكان تسلمه القدس قدس الله روحه في يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب وليلة كانت المعراج المنصوص عليها في القرآن المجيد فانظر إلى هذا الاتفاق العجيب كيف يسّر الله عَوْدَهُ إلى أيدي المسلمين في مثل زمان الإسراء بنبيهم صلّى الله عليه وسلّم وهذه علامة قبول هذه الطاعة من الله تعالى، وكان فتوحا عظيما شهده من أهل العلم خلق عظيم ومن أرباب الحرف والطرق، وذلك أن الناس لما بلغهم ما يسّر الله على يده من فتوح الساحل، وشاع قصده القدس، قصده العلماء من مصر ومن الشام بحيث لم يتخلف معروف من الحضور، وارتفعت الأصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير، وخطب فيه، وصليت فيه الجمعة"[2].

وبجانب ذلك فالخطبة تعد وثيقة تاريخية مهمة إذ دونها العماد الأصفهاني في كتابه البرق الشامي ونقلها عنه أبو شامة وغيره، وكان العماد حاضرا يوم الخطبة في بيت المقدس إذ وصل إليه يوم السبت الثامن والعشرين من رجب كما صرح بنفسه: "ووصلت

---

[1] ابن تميم المقدسي (765هـ)، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ص367، ت. أحمد الخطيمي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1994م.

[2] ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص135، ت. جمال الدين الشيال، الخانجي، القاهرة، 1994م.

بكرة السبت ثاني يوم الفتح بالسعد واليمن والنجح فوصلني السلطان عند وصولي بأجلى بشاشة"[1].

ولعل العماد لم يدونها سماعا فحسب بل ربما حصل عليها مكتوبة قبل الجمعة، وهو ما يبدو من تصريحه بعرض الخطباء خطبهم عليه للاختيار: "وانتدب الخطباء وكثر المترشحون للخطابة المتوشحون بالإصابة المعروفون بالفصاحة الموصوفون بالحصافة فما فيهم إلا من خطب الرتبة ورتب الخطبة وأنشأ معنى شائقا ووشى لفظا رائقا وسوى كلاما بالموضع لائقا وروى مبتكرا من البلاغة فائقا. وفيهم من عرض علي خطبته وطلب مني نصبته وتمنى أن ترجح فضيلته.. فنصب السلطان الخطيب بنصه وأبان عن اختياره بعد فحصه"[2].

الخطبة:

"{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[3]، {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {2} الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ {3} مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[4]، {الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ}[5]، {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}[6]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا {1} قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا {2} مَاكِثِينَ فِيهِ

---

[1] العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص74.

[2] العماد الأصفهاني، الفتح القسي، ص77-78.

[3] الأنعام، الآية: 45.

[4] الفاتحة، الآيات: 2- 4.

[5] الأنعام، الآية: 1.

[6] الإسراء، الآية: 111.

أَبَدًا {3} وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا {4} مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا}[1]، {قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى}[2]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ {1} يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ}[3]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا}[4].

والخطبة: الحمدُ للهِ معزِ الإسلام[5] بنصره، ومذلِ الشرك بقهره، ومصرفِ الأمور بأمره، ومديمِ النعم بشكره، ومستدرجِ الكافرين بمكره. الذي قدَّر الأيامَ دولا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقين بفضله، وأفاء على عبادِه من ظله، وأظهر دينَه على الدين كلِه. القاهرِ فوق عباده فلا يُمانَع، والظاهرِ على خليقته فلا يُنازَع، والآمرِ بما يشاءُ فلا يُراجَع، والحاكمِ بما يريدُ فلا يُدافَع.

أحمَدُه على إظفاره وإظهاره[6]، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره، وتطهيرِه بيتَه المقدس[7] من أدناسِ الشرك وأوضاره، حمدَ من استشعر الحمدَ باطنُ سره وظاهرُ جهاره[8].

جهاره[8].

---

[1] الكهف، الآيات: 1- 5.

[2] النمل، من الآية: 59.

[3] سبأ، الآيتان: 1-2.

[4] فاطر، من الآية: 1. تمام الآيات الواردة بدء الخطبة من شفاء القلوب.

[5] في شفاء القلوب: الدين.

[6] "وإظهاره" سقطت من شفاء القلوب.

[7] في مثير الغرام: وتطهيره لبيته المقدس. وفي كنز الدرر: تطهيره لبيت المقدس من أنجاس الشرك وأوضاره. وفي وفيات الأعيان: تطهير بيته المقدس.

[8] في مثير الغرام: ظاهر إظهاره. في كنز الدرر: وظاهر شكره.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، الأحدَ الصمد[1]، الذي { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {3} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[2]، شهادةً من طهَّر بالتوحيد قلبَه، وأرضى به ربَّه. وأشهدُ وأشهدُ أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبدُه ورسولُه رافعُ الشك، وداحضُ الشرك، وراحضُ الإفك، الذي أُسري به من المسجدِ الحرام إلى هذا المسجدِ الأقصا، وعُرج به منه إلى السمواتِ العلا، إلى سدرةِ المنتهى، عندها جنةُ المأوى، {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}[3]. طَغَى}[3].

صلى الله عليه وعلى خليفتِه أبي بكرِ الصديقِ السابقِ إلى الإيمان، وعلى أمير المؤمنين عمرَ بن الخطابِ أول من رفع عن هذا البيتِ شعارَ[4] الصلبان، وعلى أمير المؤمنين عثمانَ بن عفان ذي النورين جامعِ القرآن، وعلى أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب مزلزلِ الشرك ومكسرِ الأوثان، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

أيها الناسُ أبشروا برضوانِ الله الذي هو الغايةُ القُصوى، والدرجةُ العليا. لما يسره اللهُ على أيديكم من استردادِ هذه الضالَّةِ من الأمةِ الضالَّةِ وردِّها[5] إلى مقرِها من الإسلام، بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبا من مائةِ عام. وتطهيرِ هذا البيتِ الذي أذِن اللهُ أن يُرفعَ وأن يُذكرَ فيه اسمُه، وإماطةِ الشرك عن طرقِه بعد أن امتدَّ عليها رَواقُه واستقر فيها رسمُه. ورفع قواعدَه بالتوحيدِ فإنه بُني عليه، وشَيَّد بنيانَه بالتمجيد[6] فإنه أُسس على التقوى من خلفِه ومن بين يديه. فهو موطنُ أبيكم إبراهيمَ ومعراجُ نبيكم محمدٍ عليه

---

[1] في كنز الدرر: الواحد الأحد الفرد الصمد.

[2] الإخلاص، الآيتان: 3– 4.

[3] النجم، الآية: 17.

[4] في مثير الغرام، كنز الدرر: شعائر.

[5] في مثير الغرام: استرداد هذه الضالة وردها. وما بينهما ساقط.

[6] "شيد بنيانه بالتمجيد" من وفيات الأعيان ومثير الغرام. ومكانها في الروضتين وشفاء القلوب: وبالتقوى.

السلام[1]، وقبلتُكم التي كنتم تصلُّون إليها في ابتداءِ الإسلام، وهو مقرُّ الأنبياء، ومقصِدُ الأولياء، ومفرُّ الرسل ومهبِطُ الوحي، ومنزلُ تنزلِ الأمرِ والنهي[2]. وهو في أرضِ المحشر، وصعيدِ المنشر. وهو في الأرضِ المقدسةِ التي ذكرها اللهُ في كتابِه المبين، وهو المسجدُ[3] الذي صلى فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالملائكةِ المقربين. وهو البلدُ الذي بعث اللهُ إليه عبدَه ورسولَه، وكلمتَه التي ألقاها إلى مريمَ ورُوحَه، عيسى الذي شرفه اللهُ برسالتِه، وكرمه بنبوتِه[4]، ولم يزحزحْه عن رتبةِ عبوديتِه، فقال تعالى: {لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ}[5]، كذَب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ {91} عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}[6]. وقال: { لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}[7]. وهو أولُ القبلتين، وثاني المسجدين، وثالثُ الحرمين. لا تُشدُّ الرحالُ بعد المسجدين إلا إليه، ولا تُعقدُ الخناصرُ بعد الموطنين إلا عليه.

ولولا أنكم ممن اختاره اللهُ من عبادِه، واصطفاه من سكانِ بلادِه، لما خصكم بهذه الفضيلةِ التي لا يجاريكم فيها مجارٍ، ولا يباريكم في شرفِها مبار[8]. فطوبى لكم من جيشٍ ظهرت على أيديكم المعجزاتُ النبوية، والوقعاتُ البدرية، والعزماتُ الصديقية،

---

[1] في مثير الغرام: فهو موطن أبيكم إبراهيم ومعراج نبيكم عليه الصلاة والسلام.

[2] في مثير الغرام: ومقصد الأتقياء ومدفن الرسل ومهبط الوحي وتنزل به الأمر والنهي. وفي شفاء القلوب: مقر الرسل. وفي وفيات الأعيان: مدفن الرسل.

[3] في مثير الغرام: وهو في المسجد الأقصى. وفي وفيات الأعيان: وهو المسجد الأقصى.

[4] في مثير الغرام: الذي كرمه الله برسالته وشرفه بنبوته.

[5] سورة النساء، من الآية: 172.

[6] المؤمنون، الآيتان: 91- 92. من "كذب العادلون" إلى هنا منقول من مثير الغرام ولم يرد في الروضتين ولا في شفاء القلوب.

[7] المائدة، من الآية: 17.

[8] في الروضتين: مبارع. والتعديل من وفيات الأعيان ومثير الغرام.

والفتوحُ العمرية، والجيوشُ العثمانية، والفتكاتُ العَلوية، جددتم للإسلامِ أيامَ القادسية، والوقعاتِ اليرموكية، والمنازلاتِ الخيبرية، والهجماتِ الخالدية[1]. فجزاكم اللهُ عن نبيه[2] محمدٍ محمدٍ صلى الله عليه وسلم أفضلَ الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجِكم في مقارعةِ الأعداء، وتقبل منكم ما تقربتم به إليه من مهراقِ الدماء، وأثابكم الجنةَ فهي دارُ السعداء. فاقدروا- رحمكم الله- هذه النعمةَ حقَّ قدرِها، وقوموا لله تعالى بواجبِ شكرِها[3]، فله المنةُ[4] عليكم بتخصيصِكم بهذه النعمة، وترشيحِكم لهذه الخدمة. فهذا هو هو الفتحُ الذي فُتحت له أبوابُ السماء، وتبلجت بأنوارِه وجوهُ الظلماء. وابتهج به الملائكةُ المقربون، وقر به عينًا الأنبياءُ والمرسلون. فماذا له[5] عليكم من النعمةِ بأن جعلكم جعلكم الجيشَ الذي يُفتحُ على يديه[6] البيتُ المقدسُ في آخرِ الزمان، والجندَ الذي تقومُ بسيوفِهم بعد فترةٍ من النبوةِ أعلامُ الإيمان. فيوشك أن تكونَ التهاني به بين أهلِ الخضراء، أكثرَ من التهاني به بين أهلِ الغبراء[7]. أليس[8] هو البيتَ الذي ذكره اللهُ في كتابِه، ونصَّ عليه في خطابِه، فقال تعالى {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[9]

---

[1] في مثير الغرام: الفتوحات والملاحم والحملات، مكان: الفتوح والوقعات والهجمات، على الترتيب. وفي شفاء القلوب: الفتوحات العمرية مكان الفتوح العمرية.

[2] في مثير الغرام: نبيكم. وفي شفاء القلوب: عن محمد نبيه.

[3] في شفاء القلوب: ذكرها.

[4] من وفيات الأعيان ومثير الغرام وشفاء القلوب، في الروضتين: النعمة.

[5] "له" من شفاء القلوب.

[6] من وفيات الأعيان ومثير الغرام وشفاء القلوب، في الروضتين: عليه.

[7] في وفيات الأعيان ومثير الغرام: وأن تكون التهاني لأهل الخضراء أكثر من التهاني لأهل الغبراء.

[8] "أليس" سقطت من مثير الغرام وتكرر سقوطها في الجملتين التاليتين.

[9] الإسراء، الآية: 1.

الآية؟. أليس هو البيتَ الذي عظمته الملل[1]، وأثنت عليه الرسل، وتليت فيه الكتبُ الأربعةُ المنزلةُ من إلهِكم عز وجل؟، أليس هو البيتَ الذي أمسك اللهُ عز وجل لأجلِه[2] الشمسَ على يوشعَ أن تغرب، وباعد بين خطواتِها ليتيسر فتحُه ويقرب؟. أليس هو البيتَ الذي أمر اللهُ موسى أن يأمرَ قومَه باستنقاذِه فلم يجبْه إلا رجلان، وغضب عليهم لأجلِه فألقاهم في التيهِ عقوبةً للعصيان. فاحمَدوا اللهَ الذي أمضى عزائمَكم لما نكلت عنه بنو إسرائيلَ وقد فضلهم على العالمين، ووفقكم لما خُذل فيه من كان قبلَكم من الأممِ الماضين[3]. وجمع لأجلِه كلمتَكم وكانت شتى، وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى. فليُهنِّكم أن اللهَ قد ذكركم به فيمن عندَه، وجعلكم بعد أن كنتم جنودا لأهويتِكم[4] جندَه. وشكركم الملائكةُ المنزلون على ما أهديتم إلى هذا البيتِ من طيبِ التوحيد، ونشرِ التقديسِ والتمجيدِ والتحميد[5]. وما أمطتم عن طرقِهم فيه من أذى الشركِ الشركِ والتثليث، والاعتقادِ الفاجرِ الخبيثِ. فالآنَ تستغفرُ لكم أملاكُ السموات، وتصلي عليكم الصلواتِ المباركات.

فاحفظوا- رحمكم الله- هذه الموهبةَ فيكم، واحرسوا هذه النعمةَ عندكم، بتقوى الله؛ التي من تمسك بها سلِم، ومن اعتصم بعروتِها نجا وعُصم. واحذروا من اتباعِ الهوى، وموافقةِ الردى، ورجوعِ القهقرى، والنكولِ عن العِدى. وخذوا في انتهازِ الفرصة، وإزالةِ ما بقي من الغصة. وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه، وبيعوا- عبادَ الله- أنفسَكم في رضاه إذ جعلكم من خيرِ[6] عبادِه. وإياكم أن يستزلَّكم الشيطان، وأن يتداخلَكم الطغيان. فيخيّلَ

---

[1] من وفيات الأعيان ومثير الغرام، في الروضتين وشفاء القلوب: الملوك.

[2] من وفيات الأعيان ومثير الغرام. وفي الروضتين وشفاء القلوب: جاءت "لأجله" قبل "أن تغرب".

[3] في وفيات الأعيان ومثير الغرام: وقد فضلت على العالمين ووفقكم لما خذلت فيه أمم كانت قبلكم من الأمم الماضين.

[4] في مثير الغرام: جنود الأهوية.

[5] في مثير الغرام: نشر التمجيد والتقديس. و"التمجيد" من شفاء القلوب.

[6] كلمة "خير" من وفيات الأعيان ومثير الغرام.

فيخيّلَ لكم أن هذا النصرَ بسيوفِكم الحداد، وبخيولِكم الجياد، وبجلادِكم في مواطنِ الجلاد. لا واللهِ {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}[1].

واحذروا- عبادَ الله- بعد أن شرفكم بهذا الفتحِ الجليل، والمنحِ الجزيل. وخصكم بهذا النصرِ المبين[2]، وأعلق أيديكم بحبلِه المتين[3]؛ أن تقترفوا كبيرا من مناهيه، وأن تأتوا عظيما من معاصيه، فتكونوا {كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا}[4]، و{الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}[5].

والجهادَ الجهادَ فهو من أفضلِ عباداتِكم، وأشرفِ عاداتِكم، انصروا اللهَ؛ ينصرْكم، احفظوا اللهَ؛ يحفظْكم[6]، اذكروا اللهَ؛ يذكرْكم، اشكروا اللهَ؛ يزدْكم ويشكرْكم. خذوا في حسمِ الداء، وقطعِ شأفةِ الأعداء. وطهروا بقيةَ الأرضِ من هذه الأنجاسِ التي أغضبت اللهَ ورسولَه[7]، واقطعوا فروعَ الكفرِ واجتثوا أصولَه. فقد نادت الأيامُ بالثاراتِ الإسلامية، والملةِ المحمدية: اللهُ أكبر، فتح اللهُ ونصر، غلب اللهُ وقهر، أذل اللهُ من كفر.

واعلموا- رحمكم الله- أن هذه فرصةٌ فانتهزوها، وفريسةٌ فناجزوها، وغنيمةٌ فحوزوها، ومهمةٌ[8] فأخرجوا لها همَمكم وبرِّزوها، وسيِّروا إليها سرايا عزماتِكم وجهزوها. فالأمورُ بأواخرِها، والمكاسبُ بذخائرِها، فقد أظفركم اللهُ بهذا العدوِ المخذولِ وهم مثلُكم أو يزيدون، فكيف وقد أضحى في قبالةِ الواحدِ منكم منهم[9] عشرون، وقد قال الله تعالى

---

[1] آل عمران، من الآية: 126.

[2] من شفاء القلوب. في الروضتين: وخصكم بهذا الفتح المبين. وفي وفيات الأعيان ومثير الغرام: وخصكم بنصره المبين.

[3] في مثير الغرام: خصكم بنصره المبين، وجملة " وأعلق أيديكم بحبله المتين " ساقطة.

[4] النحل، من الآية: 92.

[5] الأعراف، من الآية: 175.

[6] جملة "احفظوا الله؛ يحفظكم" من وفيات الأعيان ومثير الغرام.

[7] من وفيات الأعيان ومثير الغرام، في الروضتين: وتطهير بقية الأرض التي أغضبت الله ورسوله.

[8] جملة "وغنيمة فحوزوها" من وفيات الأعيان ومثير الغرام. وسقطت كلمة "مهمة" من مثير الغرام.

[9] من مثير الغرام. في الروضتين ووفيات الأعيان: منهم منكم. وفي شفاء القلوب: منكم.

تعالى {إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ}[1]. أعاننا اللهُ وإياكم على اتباعِ أوامرِه، والازدجارِ بزواجرِه، وأيدنا معشرَ المسلمين بنصرٍ من عندِه، {إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ}[2].

إن أشرفَ مقالٍ يُقالُ في مقام، وأنفذَ سهامٍ عن قسي الكلام، وأجلى قولٍ تُجلى به الأفهام، كلامُ الواحدِ العزيزِ العلام، قال الله تعالى: {وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}[3]، أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم وقرأ أول سورة الحشر[4] ثم قال: آمرُكم وإياي بما أمر اللهُ به مِن حُسنِ الطاعةِ فأطيعوه، وأنهاكم وأنهاكم وإياي عما نهى اللهُ من قبحِ المعصيةِ فلا تعصوه، وأقولُ قولي هذا وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم ولسائرِ المسلمين فاستغفروه[5].

وتمام الخطبة والخطبة الثانية قريب مما جرت به العادة وقال بعد الدعاء للخليفة:

اللهم وأدم سلطانَ عبدِك، الخاضعِ لهيبتِك، الشاكرِ لنعمتِك، المعترفِ بموهبتِك. سيفِك القاطع، وشهابِك اللامع، والمحامي عن دينِك المدافع، والذابِّ عن حرمِك وحرمِ رسولِك الممانع. السيدِ الأجل، والكهفِ الأظل[6]. الملكِ الناصرِ جامعِ كلمةِ الإيمان، وقامعِ عبدةِ الصلبانِ والأوثان[7]. صلاحِ الدنيا والدين، سلطانِ الإسلام والمسلمين، مطهرِ

---

[1] الأنفال، من الآية: 65.

[2] آل عمران، من الآية: 160.

[3] الأعراف، الآية: 204.

[4] الآيات: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {1} هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ {2} وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ {3} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {الحشر/4}.

[5] العبارة من "إن أشرف مقال" إلى "فاستغفروه" من وفيات الأعيان ومثير الغرام ولم ترد في الروضتين ولا في شفاء القلوب.

[6] "وحرم رسولك"، "والكهف الأظل" من شفاء القلوب وكنز الدرر. ولم تردا في الروضتين ولا في وفيات الأعيان ولا في مثير الغرام.

[7] "الأوثان" من شفاء القلوب.

مطهرِ البيتِ المقدسِ من أثرِ المشركين[1]، أبي المظفرِ يوسفَ بن أيوب محيي دولةِ أميرِ المؤمنين. اللهم عمَّ بدولتِه البسيطة، واجعلْ ملائكتَك المقربين[2] برایاتِه محيطة. وأحسنْ عن الدينِ الحنيفي[3] جزاءَه، واشكرْ عن الملةِ المحمديةِ عزمَه ومضاءَه. اللهم أبقِ للإسلامِ والمسلمين[4] مهجتَه، ووقِّ للإيمانِ[5] حوزتَه، وانشرْ في المشارقِ والمغاربِ دعوتَه. اللهم كما كما فتحت على يده البيتَ المقدسَ بعد أن ظُنت الظنون، وابتلِي المؤمنون؛ فافتحْ على يده دانيَ الأرضِ وقاصيها، وملِّكْه بفضلِك وكرمك[6] صياصي الكفرةِ ونواصيها. فلا تلقاه تلقاه منهم كتيبةٌ إلا مزقها، ولا جماعةٌ بعزتِك[7] إلا فرقها، ولا طائفةٌ بعد طائفةٍ إلا ألحقها ألحقها بمن سبقها. اللهم اشكر له[8] عن محمدٍ صلى الله عليه وسلم سعيَه، وأنفِذْ في المشارقِ والمغاربِ أمرَه ونهيَه. اللهم وأصلحْ به أوساطَ البلادِ وأطرافَها، وأرجاءَ الممالكِ وأكنافَها. اللهم ذللْ به معاطسَ الكفار، وأرغمْ به أنوفَ الفجار، وانشرْ ذوائبَ ملكِه برحمتِك[9] على الأمصار، وابثُثْ سرايا جنودِه في سبلِ الأقطار[10]. اللهم ثبتْ الملكَ فيه وفي عقبِه إلى يومِ الدين، واحفظْه في بنيه وبني أبيه الملوكِ الميامين، واشدُدْ عضدَه ببقائِهم، واقضِ بإعزازِ أوليائِه وأوليائِهم[11]. اللهم كما أجريت على يده في الإسلامِ هذه الحسنةَ[12]

---

[1] جملة "من أثر المشركين" من مثير الغرام. ولم ترد في الروضتين ولا في وفيات الأعيان. ووردت في شفاء القلوب: من أيدي المشركين.

[2] "المقربين" من شفاء القلوب وكنز الدرر.

[3] "الحنيفي" سقطت من مثير الغرام.

[4] "المسلمين" من شفاء القلوب وكنز الدرر.

[5] في مثير الغرام: للإسلام.

[6] "بفضلك وكرمك" من شفاء القلوب.

[7] "بعزتك" من شفاء القلوب وكنز الدرر.

[8] "له" من شفاء القلوب وكنز الدرر.

[9] "برحمتك" من شفاء القلوب.

[10] جملة "وابثث سرايا جنوده في سبل الأقطار" سقطت من مثير الغرام.

[11] في مثير الغرام: واحفظه في بنيه الغر الميامين وإخوته أولي الغز والتمكين وشد عضده ببقائهم واقض بإعزاز أوليائك وأوليائهم.

[12] في مثير الغرام: السنة.

التي تبقى على الأيام، وتتخلدُ على مرِّ الشهورِ والأعوام؛ فارزقْه الملكَ الأبديَ الذي لا ينفدُ في دارِ المتقين، وأجبْ دعاءَه في قولِه: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}[1]. "[2].

بين يدي الخطبة:

البدء بآيات الحمد:

بدأ الخطيب خطبته بجمع التحميدات من القرآن الكريم وذلك له دلالات شكر نعمة الله تعالى في توفيقه المسلمين في استرداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين، وذلك التوفيق هبة ربانية لعباد استحقوها بإخلاص الإيمان والجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم بعد أن جمعت كلمة المسلمين وعدتهم وعتادهم. وهذا الحمد وتكراره يكشف عن أهمية المسترَد ومنزلته الدينية؛ إذ يعد الاحتفال بنصر الله إياهم بالصلاة والحمد والشكر وتطهير مظاهر الكفر والتدنيس، وعلى رأس المحتفلين صلاح الدين قائد تحرير بيت المقدس وقادته وجنوده المجاهدون وعلماء الأمة ومشايخها؛ دالا على تلك المنزلة، وذلك مفهوم مما أورده ابن شداد عن بكاء صلاح الدين في ركعتي النوافل في يوم جمعة خوفا على بيت المقدس: "وصلى الركعتين بين الأذان والإقامة ورأيته ساجدا ودموعه

---

[1] النمل، من الآية: 19.

[2] أبو شامة المقدسي (665هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج3، ص248- 253، تعليق. إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ابن خلكان (681هـ)، وفيات الأعيان، ج4، ص230-236، ت. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م. ابن تميم المقدسي (765هـ)، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ص368- 375، ت. أحمد الخطيمي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1994. أحمد بن إبراهيم الحنبلي (876هـ)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، ص146- 152، ت. مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، ص87-89، ت. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1972. وأورد الخطبة الثانية وجزءا من الخطبة الأولى.

تتقاطر على شيبته وعلى سجادته ولا أسمع ما يقول"[1]. ومن إشارة العماد الأصفهاني إلى تطهير صلاح الدين المسجد وما حوله بنفسه: "ومن جملة أفعاله المشكورة ومكرماته المشهورة أنه حضر يوما في قبة الصخرة مع جماعة من السراة الأسرة ومعه من ماء الورد أحمال ولأجل الصدقة والرفد مال فانتهز فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها بالافتراض وتولى بيده كنس تلك الساحات والعراص ثم غسلها بالماء مرارا حتى تطهرت ثم أتبع الماء بماء الورد صبا حتى تعطرت وكذلك طهر حيطانها وغسل جدرانها"[2].

واحتفال المسلمين بتلك الوسائل يستدعي في الذاكرة أشكال احتفال المحتل الصليبي قديما قبل الفتح الصلاحي بما ينافي الشرائع السماوية بتدنيس البيت المقدس بحوانيت الخمور وغيرها كما مر بنا من نص ابن العديم، وبقتل الأبرياء وسرقة محتويات البيت المقدس، وذلك مفهوم من قول ابن الجوزي: "ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة فمن الحوادث فيها: أخذ الإفرنج بيت المقدس في يوم الجمعة ثالث عشر شعبان، وقتلوا فيه زائدا على سبعين ألف مسلم، وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلا فضة كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا تنور فضة وزنه أربعون رطلا بالشامي، وأخذوا نيفا وعشرين قنديلا من ذهب، ومن الثياب وغيره ما لا يحصى، وورد المستنفرون من بلاد الشام، وأخبروا بما جرى على المسلمين"[3].

وبالتأمل في آيات الحمد التي أوردها الخطيب نجد طائفتين بإزاء بعضهما، الطائفة الأولى جمع فيها من كفروا بربهم، ومنهم مشركو العرب قبل الإسلام واليهود

---

[1] ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص40.

[2] العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص80.

[3] ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج17، 47، ت. محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

والنصارى الذين جعلوا لله ولدا كما في تفسير آيات سورة الكهف[1]، ويظهر عموم الكفار من الآية إحدى عشرة ومائة من سورة الإسراء[2]، ويظهر العموم أيضا من الآية الخامسة والأربعين من سورة الأنعام، وهو مفهوم من تفسير الطبري قوله تعالى: "{فقُطع دابر القوم الذين ظلموا}، فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم، وكذّبوا رسله، وخالفوا أمره، عن آخرهم، فلم يترك منهم أحد إلا أهلك بغتة إذ جاءهم عذاب الله"[3]. ومن تفسيره أيضا الآية الأولى من سورة الأنعام: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي أن يقال: إنّ الله تعالى ذكره أخبر أنّ الذين كفروا بربهم يعدلون، فعمّ بذلك جميع الكفّار، ولم يخصص منهم بعضا دون بعض. فجميعهم داخلون في ذلك: يهودهم، ونصاراهم، ومجوسهم، وعبدة الأوثان منهم ومن غيرهم من سائر أصناف الكفر"[4].

والطائفة الثانية جمع فيها من آمنوا بربهم وعبدوه حق عبادته وهم المسلمون، كما جاء في تفسير قوله تعالى: {عباده الذين اصطفى} من الآية التاسعة والخمسين من سورة النمل: "الذين اجتباهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فجعلهم أصحابه ووزراءه على الدين الذي بعثه بالدعاء إليه دون المشركين به، الجاحدين نبوة نبيه"[5]. وكما جاء في تفسير الآية الثانية من سورة الكهف: "وقوله: {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ}، يقول: ويبشر المصدقين الله ورسوله {الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ} وهو العمل بما أمر الله بالعمل به،

---

[1] نقل الواحدي عن الكلبي والسدي أن المقصود بالذين قالوا اتخذ الله ولدا هم اليهود والنصارى، انظر: الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج3، ص136، ت. عادل أحمد عبد الموجود وفريق عمل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م. وذهب الرازي إلى أنهم كفار العرب والنصارى واليهود، انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج21، ص425، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.

[2] انظر ذلك: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج17، ص590، ت. أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م، وذكر اليهود والنصارى والعرب والصابئين والمجوس.

[3] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج11، ص363.

[4] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج11، ص254.

[5] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج19، ص482.

والانتهاء عما نهى الله عنه {أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا}، يقول: ثوابا جزيلا لهم من الله على إيمانهم بالله ورسوله، وعملهم في الدنيا الصالحات من الأعمال، وذلك الثواب: هو الجنة"[1].

ولارتباط الخطبة بالفتح الصلاحي لبيت المقدس وتحريره من الصليبيين على اعتبارهم من طائفة الكافرين؛ كان من البدهي أن يورد الخطيب من الآيات ما يختص بكفار النصارى دون غيرهم، لأن الفاتحين الصلاحيين جاهدوهم وحرروا بيت المقدس من أيديهم وطهروه من مظاهر كفرهم؛ لكنه أورد من الآيات ما يذكر عموم من كفر من النصارى واليهود والمجوس وغيرهم، وهو ما يعني أن جهاد المسلمين في تحرير بيت المقدس لا يفرق بين كون من اغتصبه من الصليبيين أو اليهود أو غيرهم؛ إذ لو كان اليهود هم من اغتصبوه من المسلمين لجمع صلاح الدين أيضا الجيوش الإسلامية وحرره من أيديهم وطهره من تدنيسهم ومظاهر كفرهم وظلمهم، وهو ما يشير إلى عدم وجود أي حق لمن كفر بالله- يهوديا كان أو نصرانيا أو مجوسيا أو غيرهم- في السيادة على بيت الله المقدس أو في أرض قدسها الله تعالى وبارك فيما حولها. وإنما الحق لعباد الله المسلمين المخلصين الذين يوفقهم في تحرير بيته وأرضه المقدسة وتطهيرهما من الكفر ومظاهره، وهو ما كان في الفتح الإسلامي العمري والفتح الإسلامي الصلاحي، وما سيكون في الفتح الإسلامي القادم بإذن الله ما دام المسلمون مخلصين عبادتهم لله ومواصلين جهادهم العدو الصهيوني الذي دنس الأرض المقدسة بكفره وظلمه.

استرداد بيت المقدس من مظاهر عزة المسلمين:

وبعد انتهاء الخطيب من إيراد آيات الحمد شرع في صياغة تحميداته في قوالب متشابهة التراكيب تربط بين حمد الله تعالى على توفيقه عباده المخلصين في فتح بيت

[1] الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج17، ص593.

المقدس وبسط سيادتهم عليه، وبين ما ترتب على ذلك الفتح من مظاهر منها: عزة الإسلام وإظهاره، وتطهير بيته المقدس، وإعزاز الله المسلمين، وجعل العاقبة لهم، والإفاءة عليهم، وتصريف أمورهم، وإدامة نعمه عليهم. وفي المقابل إذلال الله الشرك، واستدراج الكفار إلى هلاكهم، وتقدير الدولة عليهم. وتلك المظاهر تعبر عن حالين بإزاء بعضهما: الأولى عزة الإسلام والمسلمين بعد فتح بيت المقدس وسيادتهم عليه بما استحقوا بإخلاص العبادة لله والجهاد في سبيله، والثانية ذل الكفر والكافرين بعد استرداد المسلمين بيت المقدس من أيديهم وتطهيره من تدنيسهم، والمؤثر في الحالين هو السيادة على بيت المقدس. مما يعني أن المقياس الذي يقاس به عزة المسلمين هو السيادة على بيت المقدس.

وقد اعتمد الخطيب في إبراز تانك الحالين المتقابلتين على عدة ظواهر لغوية، منها: التقابل بين مفردات الفاصلة الأولى "معز الإسلام بنصره"، والفاصلة الثانية "مذل الشرك بقهره"، وذلك بالتقابل المعجمي بين العزة والذل، والإسلام والشرك، وذلك التقابل يؤكد[1] عزة الإسلام بفتح بيت المقدس، وثمة تأكيد آخر على تلك العزة يتضح من الترادف[2] بين دلالة الفاصلتين[3]. ولعل حشد الخطيب أصوات الصفير "ز، س، ص، ذ، ش"[4] كاشف عن رغبته في إذاعة تلك الدلالة.

---

[1] التأكيد هنا من ثبوت حقيقة الأول في الذهن، انظر دلالة عطف المتقابلين على ثبوت دلالة المعطوف عليه: عفت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، ص214، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

[2] انظر دلالة عطف أحد المترادفين على الآخر على التأكيد: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص472 وما بعدها. ت. أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، 1957.

[3] الترادف الدلالي بين عزة الإسلام وذل الكفر في مكان واحد هو بيت المقدس وزمن واحد هو زمن الفتح والسيادة عليه؛ مفهوم من انتفاء حصول عزة الإسلام والشرك، وانتفاء ذل الإسلام والشرك في مكان واحد وزمن واحد.

[4] انظر المقصود بأصوات الصفير وتفصيلها: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص66 وما بعدها، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1999م. وانظر إيحاء الأصوات بدلالة نابعة من صفاتها: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص65، الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004م.

وبالنظر فيما أورد الخطيب في الفواصل عموما نجد أنه نسب أسباب استرداد بيت المقدس إلى الله تعالى وقدرته ووسائله، مما يعد إقرارا استحق وصف جيوش المسلمين الذين استردوا بيت المقدس بعباد الله المخلصين. ويتضح ذلك من اعتماد الخطيب عدة ظواهر لغوية في الفواصل الخمس الأولى، منها: صيغة اسم الفاعل للدلالة على الفاعلية والقدرة المنسوبة لله تعالى: "معز، مذل، مصرف، مديم، مستدرج" وامتدت تلك الصيغة إلى الفواصل بعدها: "القاهر، الظاهر، الآمر، الحاكم". وأكد القدرة لتقريرها في الأذهان بتكرار الصيغة الصرفية أول كل فاصلة[1]. وبإبراز الجانب العملي للقدرة المتمثل في الوسائل: "بنصره، بقهره، بأمره، بشكره، بمكره" وامتدت تلك الوسائل إلى الفاصلتين التاليتين: "بعدله، بفضله"، وقد صاغ الخطيب تلك الوسائل صرفيا في قالب المصدر ذي الدلالة على إطلاق الزمن[2] ونحويا في قالب الحال ذات الدلالة على الملازمة[3] مما يؤكد شمول قدرة الله كل الأزمنة وكل الأحوال وعدم التقيد بزمن أو حال. وبتكرار القالب التركيبي المكون من "اسم الفاعل، مضاف إليه، مصدر"، وبجانب التأكيد الدلالي لتكرار ذلك القالب ثمة تأثير صوتي على المتلقين عن طريق التوازي بين مفردات الفواصل.

واعتمد في بناء الفواصل الأربع التالية على التصدير بالفعل الماضي ذي الدلالة على التحقق والتأكيد[4]: "قدر، جعل، أفاء، أظهر" فضلا عن صياغة تلك الأفعال في

---

[1] انظر دلالة التكرار على التأكيد والتقرير: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص8 وما بعدها.

[2] الإطلاق هنا لدلالة المصدر على المعنى المجرد بغير تحديد زمان، انظر: عباس حسن، النحو الوافي، ج3، حاشية ص183. دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت.

[3] انظر دلالة الحال على الملازمة: عباس حسن، النحو الوافي، ج2، 366.

[4] تلك الدلالة مفهومة من قول الزركشي: "ولهذا لا يجوز تأكيد الماضي ولا الحاضر لئلا يلزم تحصيل الحاصل وإنما يؤكد المستقبل"، انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص384.

قالب التعدي ذي الدلالة على الفاعلية[1]؛ لتأكيد قدرة الله تعالى في تقدير الأيام دولا والإفاءة على عباده المخلصين وجعل العاقبة لهم وإظهار الدين على غيره.

واعتمد في بناء الفواصل الأربع التالية على إعادة التصدير باسم الفاعل ذي الدلالة على القدرة والفاعلية ومثل تكراره تأكيدا عليها: "القاهر، الظاهر، الآمر، الحاكم". وأكد القدرة بأكثر من وسيلة، منها: تكرار القالب التركيبي: "فلا يمانع، فلا ينازع، فلا يراجع، فلا يدافع" وذلك بتكرار النفي، كما يؤثر تكرار الصيغ "الفاعل فلا يفاعل" صوتيا في آذان المتلقين مما يستدعي تعلق الدلالة على القدرة في أذهانهم، وأسهم انطواء الفواصل على صوت العين ذي الوضوح السمعي[2] على تعزيز ذلك التعلق. وبصياغة الأفعال في صيغة المضارع الدال على الاستمرار[3] مما يضفي على القدرة إطلاقا ممتدا في الزمن دون انقطاع أو نوبات فتور. وبصيغة المفاعلة المسبوقة بالنفي لنفي إمكانية مشاركة[4] الله في قدرته ونفي الندية له وتكرار النفي يؤكد الانتفاء المطلق لتلك المشاركة، وببناء تلك الصيغة للمفعول لتعظيم قدرة الله تعالى[5]. كما أكدها بالترادف الدلالي بين أوائل الفواصل وأواخرها: "القاهر فلا يُمانَع، الظاهر فلا يُنازَع، الآمر فلا يُراجَع، الحاكم فلا يُدافَع".

---

[1] دلالة التعدي على الفاعلية لقدرته التأثيرية حسب تعبير النحويين ومنهم مجد الدين ابن الأثير، انظر: ابن الأثير، البديع في علم العربية، ج1، ص431/ ت. فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، 1420هـ.

[2] انظر ذلك: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص26 وما بعدها.

[3] انظر تلك الدلالة: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص21.

[4] انظر دلالة المفاعلة على المشاركة: ابن الأثير، البديع في علم العربية، ج2، ص411، ت. صالح حسين العايد، جامعة أم القرى، 1421هـ.

[5] انظر تلك الدلالة: عباس حسن، النحو الوافي، ج2، حاشية ص97.

وكما بدأ الخطيب تحميداته بلفظ الحمد المصاغ في قالب الجملة الاسمية الخالية من الزمن الدالة على الاستقرار والثبوت[1] مما يعكس ثبوت الحمد في الزمن: "الحمد لله"، ختمها به أيضا وهنا صاغه في قالب المضارع الدال على الاستمرار: "أحمده حمدَ"؛ ليعبر بالثبوت والاستمرار عن شمول الحمد كل الأزمنة، وأكد الحمد بتكرار مادته اللغوية أربع مرات: "الحمد، أحمده، حمد، الحمد"؛ ليلح بهذا التأكيد على دلالة نسبة نصر المسلمين وتحرير بيت المقدس لله تعالى، والإلحاح على حمده على هذا النصر. وأتبع الخطيب فعل الحمد ببعض الأسباب التي حمد الله عليها: "إظفاره، إظهاره، إعزازه، نصره، تطهيره بيته المقدس"، ووضع تلك الأسباب في بؤرة اهتمام المتلقي بوسيلتين، الأولى: الطول الخطي الذي أسهم فيه العطف مما يستدعي احتلال الأسباب مساحة لا بأس بها في ذهن المتلقي، والثانية: تأخير المفعول المطلق "حمد" ليحيط الحمد بتلك الأسباب من الجهتين وذلك تأكيد لما سبق من نسبة النصر إلى الله وهو ما استحق به الفاتحون الحامدون أن يكونوا عباد الله المخلصين، وللإلحاح على تلك الدلالة عمد الخطيب في الفاصلة الأخيرة: "حمدَ من استشعر الحمدَ باطنُ سره وظاهر جهاره" إلى تقديم المفعول "الحمد" لأهميته[2] وتأخير الفاعل وعطف عليه المقابل الدلالي له: "باطن، ظاهر- سر، جهر" للتعبير عن شمول الحمد كل الأحوال[3]. واللافت للنظر أن الأسباب الأربعة الأُول دالة على عموم نصر الله المسلمين وأساس هذا النصر هو فتح بيت المقدس والسيادة عليه وتطهيره من دنس الصليبيين، ولذا فإن إفراد الخطيب السبب الخامس: "تطهيره بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره" يعد إطنابا عن طريق ذكر الخاص بعد العام، وهذا

---

[1] انظر تلك الدلالة: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص66.

[2] انظر تلك الدلالة: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص235.

[3] انظر دلالة عطف المتقابلين على الشمول: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، 465. ومحمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص152، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1995م.

الذكر الخاص لبيت المقدس وتطهيره ينبه على فضله[1]. ولهذا الفضل اختار الخطيب من معجمه لفظ التطهير دون التنظيف أو التنقية لتضمنه الدلالة على غاية التنظيف مع الحماية من الدنس، وتضمنه أيضا دلالة عرفية على إزالة الكفر وأحقاد القلوب[2] وهو ما يعكس تطهير مظاهر الدنس المحسوسة من حوانيت الخمور التي انتشرت ببيت المقدس ودماء القرابين التي ذبحت لغير الله على الصخرة المقدسة، وتطهير مظاهر الدنس المعنوية من الشرك بالله سبحانه: "أدناس الشرك وأوضاره"، وإضافة الأدناس إلى الشرك يوحي بعلاقة التلازم بينهما وكرر الخطيب تلك العلاقة بعطف الأوضار على الأدناس وهما مترادفان مؤكدا على ذلك التلازم بوجود تلك الأدناس بشقيها في بيت المقدس أثناء اغتصاب الصليبيين له وهو ما استحق تحريره من أيديهم، ويستحق في الوقت الحالي تحريره أيضا من أيدي العصابات الصهيونية للتلازم بين اغتصابها له وأدناس الشرك. وصاغ الخطيب لفظ التطهير في قالب المصدر: "التفعيل" للدلالة على المبالغة[3] في إخراج الأدناس وتكرار تلك العملية.

وقد اعتمد الخطيب في بناء كلمات الفواصل على التأثير في المتلقين بثلاث وسائل صوتية، الأولى: انطواء الفواصل على الأصوات المتوسطة: "ر، ل، ع"[4]، وهي أصوات ذات وضوح سمعي[5]، والثانية: النبر على المقطع قبل الأخير: "نَصْ، عَدْ، ما،

---

[1] انظر دلالة ذكر الخاص بعد العام: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، ج2، ص119.

[2] انظر دلالة طهر: أحمد مختار عمر وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصر، مادة طهر 3247، ص1417، عالم الكتب، القاهرة، 2008م.

[3] انظر دلالة فعّل على المبالغة والتكرير والتكثير: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص35 وما بعدها.

[4] صوت الراء والوصل بالهاء الساكنة "ره" في مجموعتي الفواصل الأولى والأخيرة، وصوت اللام والوصل بالهاء الساكنة "له" في مجموعة الفواصل الثانية، وصوت العين الساكن في مجموعة الفواصل الثالثة "ـعْ".

[5] انظر ذلك: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص26 وما بعدها.

ها"[1] وللنبر هنا تأثير صوتي تمثل في وضوح المقطع سمعيا وتأكيد دلالي لكلمة الفاصلة، والثالثة: بناء المقطع الأخير على النوع الثالث من المقاطع وبناء المقطع المنبور قبله على المقطعين من النوع الثالث والثاني[2]، وهذان المقطعان لهما نسبة وضوح في السمع أيضا، وبتلك الوسائل نجد وضوحا لكلمات الفواصل عموما. ومن شأن ذلك الوضوح ضمان وصول ما أراده الخطيب إلى أذهان متلقيه من وجوب حمد الله على توفيقهم في فتح بيت المقدس وتطهيره من أدناس الشرك، ونسبة النصر إلى الله تعالى الذي أعزهم بذلك النصر.

استحقاق السيادة على بيت المقدس بإخلاص العبادة:

بعد حمد الله انتقل الخطيب إلى الركن الأول من أركان الإسلام وهو الشهادة بوحدانية الله تعالى وألوهيته، والشهادة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه عبد لله. ثم ذكر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم.

ويظهر من هذا الجزء من الخطبة استحقاق الفاتحين الصلاحيين السيادة على بيت المقدس لكونهم من عباد الله تعالى المخلصين؛ وذلك من عدة أمور، الأول: صحة عبادتهم الله تعالى بالتوحيد وتنزيهه عن الشرك وعن المثل والولد وتعظيمه بذكر معجزتين من معجزات قدرته وهما الإسراء والمعراج، والثاني: صحة المذهب بتوقير صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وعليهم رضوان الله تعالى وعدم المغالاة بالتشيع لأحدهم كما فعلت

---

[1] النبر في كلمات الفواصل الخمس الأول: "بنصره، بقهره، بأمره، بشكره، بمكره" على: "نص، قه، أم، شك، مك". وفي كلمات الفواصل الأربع التالية: "بعدله، بفضله، ظله، كله" على: "عد، فض، ظل، كل". وفي كلمات الفواصل الأربع التالية لها: "يمانع، ينازع، يراجع، يدافع" على: "ما، نا، را، دا". وفي كلمات الفواصل الأربع التالية لها: "إظهاره، أنصاره، أوضاره، جهاره" على: "ها، صا، ضا، ها".

[2] من كلمات الفواصل: "بنصره، بعدله، بمانع، أنصاره"، ومثلنا بكلمة فاصلة واحدة من مجموع الفواصل المقسمة إلى أربع مجموعات. والمجموعتان الأخيرتان من الفواصل نبر فيها على مقطع من النوع الثاني. المقصود بالمقطع من النوع الثالث هو المتكون من صوتين صامتين بينهما حركة قصيرة وثانيهما ساكن. والمقطع من النوع الثاني هو المتكون من صوت صامت وصوت لين طويل. والمقصود بالنبر هو الضغط على مقطع واحد من مقاطع الكلمة عن طريق نشاط أعضاء النطق في وقت واحد، انظر تفصيل المقاطع الصوتية والنبر وأماكن النبر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص131 وما بعدها، وص138 وما بعدها.

الفرق الضالة، ويضاف إلى ذانك اتباعهم أوامر الله ورسوله ونهج صحابته في الجهاد في سبيل الله وتطهير بيت المقدس من الشرك ومظاهره. والثالث: ارتباط معجزتي الإسراء والمعراج ببيت المقدس وهذا الارتباط مظهر من مظاهر أهميته لدى المسلمين.

وتظهر الدلالات السابقة من عدة ظواهر لغوية اعتمدها الخطيب، منها: استخدام الفعل المضارع: "أشهد" الدال على الدوام والاستمرار للتعبير عن دوام الاعتقاد في وحدانية الله وأكد ذلك بالتكرار عن طريق ذكر مرادفين دلاليين لكلمة التوحيد، وهما الحال الدالة على ثبات الوحدانية[1]: "وحده"، والنفي المطلق لجنس الشريك: "لا شريك له". والفصل بين الفعل: "أشهد" وبين المفعول المطلق: "شهادة" بفاصل كبير يحتل مساحة في أذهان المتلقين ويضعه في بؤرة الاهتمام: "الأحد الصمد، الذي {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {3} وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ}[2]؛ شهادةَ مَنْ"، وتضمن الفاصل اسمين من أسماء الله تعالى: "الأحد الصمد" وهما متضمنان جميع أوصاف الكمال[3]، وأكد كمال الأوصاف بالتفصيل[4] بعدها من الآيتين الكريمتين وذلك بنفي الولد والوالد والشبيه والنظير، وتأكيد الإقرار بوحدانية الله تعالى وباتصافه تعالى ذكره بصفات الكمال يكشف عن إخلاص الفاتحين العبادة لله. ومنها: إتباع الشهادة بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالإطناب المعظم[5] للرسول صلى الله عليه وسلم وعمله في نشر دين الله وإزالة الشرك، والمعظم لمعجزتين من المعجزات التي ارتبطت به وببيت المقدس وهما الإسراء والمعراج، واعتمد

---

[1] انظر دلالة الحال على الثبات: عباس حسن، النحو الوافي، ج2، ص366.

[2] الإخلاص، الآيتان: 3- 4.

[3] انظر تلك الدلالة: محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، ج10، ص619، دار ابن كثير، دمشق، ط3، 1992م.

[4] انظر تلك الدلالة: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص464، 478.

[5] الإطناب كما عرفه ابن الأثير: "هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة"، انظر ذلك: ابن الأثير، المثل السائر، ج2، ص120، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1990م. وانظر أيضا تعريفه ودلالاته: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ج2، ص117.

الخطيب في إطنابه على وسيلتين، الأولى: تعدد المعطوفات: "رافعُ الشك، وداحض الشرك، وراحض الإفك" واعتمد فيها على صيغة اسم الفاعل للدلالة على فاعلية الرسول صلى الله عليه وسلم في إزالة الشرك وكرر تلك الصيغة للتأكيد على تلك الفاعلية، والثانية: الموصول وصلته وما عطف على الصلة مما أوجد طولا خطيا: "الذي أُسري به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصا، وعُرج به منه إلى السموات العلا، إلى سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى}[1]." ومن شأن هذا الطول الخطي شغل مساحة لا بأس بها في أذهان المتلقين واستغراق مدة زمنية مماثلة يستحضر فيها الذهن معجزتي الإسراء والمعراج ويتخيلهما وهو ما يستدعي الإقرار بعظمة الله تعالى وعظمة رسوله صلى الله عليه وسلم وعظمة المسجد الذي أسري به إليه وعرج به منه إلى السموات، وألح على دلالة التعظيم ببناء الفعلين للمفعول: "أسري، عرج"، وأسهمت الإشارة إلى المسجد الأقصى الماثل أمام أعينهم: "هذا" في الانتقال من الاستحضار الذهني لمعجزتي الإسراء والمعراج إلى المشاهدة العينية لمكان حدوثهما وهو المسجد الأقصى الذي أنعم الله عليهم بفتحه وتطهيره والسيادة عليه إنعاما ينسيهم ما كابدوه في الجهاد من أجله، ولعل ذلك الانتقال من الصورة المتخيلة إلى المعاينة معبر عن حال المسلمين قبل فتح بيت المقدس وبعده؛ إذ غابت عنه الأنظار مدة احتلال الصليبيين له ثم تنعمت برؤيته بعد استرداده منهم، وكأن لسان حال الخطيب الذي وجه أنظار الفاتحين إليه يقول: تلذذوا برؤيته فهو مكافأة إخلاصكم العبادة لله وجهادكم في سبيله. ومن اللافت للنظر أن الخطيب وضع كلمة: "الأقصى" آخر الفاصلة الأولى وأقام عليها بقية كلمات الفواصل بعدها: "العلا، المنتهى، المأوى" مما أقام بينها علاقة ارتباط صوتية تعزز ارتباط المسجد الأقصى بمعراج الرسول صلى الله عليه وسلم إلى السموات.

---

[1] النجم، الآية: 17.

ومنها: الإطناب في ذكر الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم إقرارا بفضلهم وقيامهم على نشر دين الله تعالى في أرضه، واعتمد الخطيب في إطنابه الموضح صحة المذهب على ذكر الألقاب لتعظيم فضلهم[1]: "وعلى خليفته أبي بكر الصديق، وعلى أمير المؤمنين عمر، وعلى أمير المؤمنين عثمان، وعلى أمير المؤمنين علي"، وأعاد ذكر حرف الجر: "على" لتأكيد تعدي الفعل: "صلى" إليهم جميعا، واعتمد أيضا على الوصف للتعبير عن لزومه الخلفاء الأربعة والتأكيد على وصفهم المذكور[2]: "السابق إلى الإيمان، أول من رفع، جامع القرآن، مزلزل الشرك ومكسر الأوثان" وصاغه في صيغة اسم الفاعل دون الفعل الماضي لتضمنه الحدث المطلق وفاعله معا[3] وهو ما يشير إلى الارتباط الوثيق بين أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رضوان الله عليهم جميعا وبين السبق إلى الإيمان، والسبق إلى فتح بيت المقدس وتطهيره، وجمع القرآن، وتحطيم الأوثان وإزالة مظاهر الشرك. وأثناء تعظيم الخطيب فضل عمر رضي الله عنه وفضل المسلمين الأوائل بإعادة بيت المقدس إلى سيادة عباد الله المخلصين وتطهيره من صلبان الشرك مما يعد استدعاء للفتح العمري لبيت المقدس: "وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصلبان"؛ عزز الخطيب ذلك الاستدعاء بإعادة الإشارة: "هذا" لتوجيه المتلقين إلى إنعام النظر إلى المسجد الأقصى الذي أعادوه إلى الإسلام وطهروه من أدناس الشرك كما فعل أسلافهم الأوائل مما يشير إلى أنهم على نهج الرسول وصحابته ومقياس ذلك النهج هو الجهاد من أجل المسجد الأقصى مما يكشف أهميته لدى المسلمين.

---

[1] انظر دلالات الذكر: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح، ج1، ص135.

[2] انظر دلالة الصفة على اللزوم والتأكيد: بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص430.

[3] انظر تلك الدلالة: عباس حسن، النحو الوافي، ج3، ص236.

منزلة بيت المقدس وأهميته:

بعد الشهادة وجه الخطيب خطابه إلى الفاتحين الصلاحيين مبشرا إياهم برضا الله تعالى لإخلاصهم الجهاد في سبيله واسترداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين الذين دنسوه بشركهم. وعظم الخطيب جهاد الفاتحين في هذا الجزء من الخطبة بتذكيرهم بعظمة بيت المقدس وأهميته، وذكر من جوانب تلك الأهمية: أنه بني زمن التوحيد الأول بعد بناء الكعبة المشرفة وذلك مفهوم من: "ثاني المسجدين"، وموطن أبي الأنبياء إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ومسرى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ومعراجه إلى السموات، ومكان صلاته بالملائكة والأنبياء، والقبلة الأولى لصلاة المسلمين قبل تحولها إلى الكعبة المشرفة، ومقر أنبياء الله ومقصدهم ومفرهم ومهبط الوحي والرسالات عليهم، وضمن أرض المحشر، وضمن الأرض التي قدسها الله وبارك فيها وذكرها في قرآنه الكريم، ومبعث عيسى صلى الله عليه وسلم، والمسجد الثالث الذي تشد إليه الرحال بعد الحرمين الشريفين.

وأبرز الخطيب تلك المنزلة لبيت المقدس وأكدها بعدة وسائل لغوية، منها: التمهيد بالنداء: "أيها الناس" لتنبيه الحضور وجذب انتباههم[1] على اعتبار ذلك مؤشرا على أهمية ما سوف يخاطبهم به، ثم أعقبه بالبشرى برضا الله تعالى: "أبشروا برضوان الله" لتهيئتهم لتلقي الخطاب في حال من السرور، والترقب لذكر سبب الفوز برضا الله، ثم أتى الخطيب بما ترقبوا سماعه بعد فاصل ذي طول نسبي[2]: "لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة من الأمة الضالة" ومن شأن ترقب المتلقين والوصول إلى ما ترقبوا سماعه ضمان تفاعلهم مع الخطيب، وزاد من التفاعل بتقديم: "على أيديكم"

[1] انظر دلالة النداء بأيها على التأكيد والتنبيه والاعتناء بالخطاب الذي يتلوه: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص415.

[2] الفاصل هنا الإطناب بالموصول والصلة وما عطف على الصلة: "الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا".

لتخصيصهم بتيسير الله دون غيرهم[1]، كما اعتمد على التأثير الصوتي عليهم المنشط للذهن بالجرس الموسيقي النابع من الجناس التام بين: "الضالة، الضالة"[2]. وألح الخطيب على تأكيد أحقية المسلمين في السيادة على بيت المقدس دون غيرهم من دلالة: "الضالة" على غياب شيء كان منتميا أو مملوكا للمسلمين، ودلالة: "الاسترداد" على إعادة المسلمين شيئا كان لهم في الأصل، وكرر مادتها اللغوية: "ردها" فضلا عن عطف جملة مرادفة: "وردِّها إلى مقرها من الإسلام" لتأكيد كون بيت المقدس لهم في الأصل. كما أكد الأحقية بالمقابلة بين حال بيت المقدس تحت سيادة المسلمين وحاله تحت سيادة الصليبيين عن طريق المقابلة الدلالية بين: "التطهير والابتذال" من قوله: "بعد ابتذالها في أيدي المشركين قريبا من مائة عام. وتطهيرِ هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع وأن يذكر فيه اسمه، وإماطة الشرك عن طرقه بعد أن امتد عليها رواقه واستقر فيها رسمه" وألح على التأكيد بعطف المرادف للتطهير: "إماطة الشرك"، وأسهم اسم الإشارة: "هذا" في تأكيد تلك المقابلة عن طريق مشاهدة المتلقين العينية لمظاهر الابتذال عند الفتح والمشاهدة العينية الآنية لمظاهر التطهير عند سماعهم قول الخطيب، ولدلالة الإشارة على مشار إليه قريب للعيان وهو بيت المقدس فذلك يعد ردا على ادعاء بعض الفرق الضالة وجوده في السماء[3].

---

[1] انظر دلالة التقديم على التخصيص والقصر: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح، ج1، ص93 وما بعدها.

[2] الأولى بمعنى: ما ضاع وفقد، والمقصود بيت المقدس أثناء غياب سيادة المسلمين عليه باغتصاب الصليبيين له، والثانية: المنحرف عن الطريق الصحيح أو المنحرف عن دين الله والمقصود: الصليبيون. انظر معنى ضلَّ: ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ج11، ص390، دار صادر، بيروت. وانظر الجناس وأثره الموسيقي: علي الجندي، فن الجناس، ص31 وما بعدها، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954م.

[3] من المعلوم أن بعض الشيعة قد ادعوا أن المسجد الأقصى في السماء وذلك استنادا على ما لم يصح من روايات منكرين ما ورد في الكتاب والسنة من أفضال المسجد الأقصى التي لا شبهة فيها، انظر كون المسجد الأقصى في مكانه المعروف في مدينة بيت المقدس في أرض فلسطين وليس في السماء ومفتريات الشيعة حول المسجد الأقصى والردود عليها: طارق أحمد حجازي، الشيعة والمسجد الأقصى، من إصدارات لجنة الدفاع عن عقيدة أهل السنة، فلسطين.

وبعد التمهيد الذي ضمن به الخطيب تفاعل المتلقين معه وأكد فيه أحقية المسلمين في السيادة على بيت المقدس، انتقل إلى إبراز أسباب أحقيتهم في السيادة عليه وهذه الأسباب لا تنفصل عن جوانب عظمة بيت المقدس وأهميته، وبدأ بإبراز بناء بيت المقدس المرتبط ببدء الإنسان على الأرض باستدعاء رفع قواعده كما جاء عن أبي ذر رضي الله عنه: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «المَسْجِدُ الحَرَامُ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ «المَسْجِدُ الأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الفَضْلَ فِيهِ»"[1]، ثم أبرز ارتباطه بانتهاء الإنسان على الأرض بإبراز كونه ضمن أرض المحشر كما جاء في مسند أبي يعلى الموصلي: "«هُوَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَأَرْضُ الْمَنْشَرِ ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَأْتِيَهُ فَلْيُهْدِ إِلَيْهِ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ، فَإِنَّ مَنْ أَهْدَى إِلَيْهِ زَيْتًا كَانَ كَمَنْ قَدْ أَتَاهُ»"[2]؛ ليوحي بارتباطه ببدء حياة الإنسان وانتهائها بشمول عظمته وأهميته من البدء حتى الانتهاء مرورا بكل العصور، وأبرز أهميته في البدء بتعظيمه النابع من عظمة وسيلة البناء وآلته: "بالتوحيد، بالتمجيد، التقوى"، وأكد ذلك بالإطناب "فإنه بني عليه، فإنه أسس على التقوى" المتضمن "إن" المؤكدة[3] وكررها للإلحاح على التأكيد، وبتعظيم الباني والمؤسس: "بني، أسس" ببناء الفعلين للمفعول. وأبرز أهميته في الانتهاء بإعادة ذكره بالضمير المنفصل: "وهو في أرض المحشر"، واختياره: "في" دون: "عند" للتعبير عن محليته[4] داخل

---

[1] صحيح البخاري 3366، وصحيح مسلم 520.

[2] مسند أبي يعلى الموصلي، ح 7088، ج12، ص523، ت. حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1984م. وحكم حسين سليم أسد: إسناده صحيح. وورد في مسند أحمد ح27626 عن ميمونة مولاة النبي.

[3] انظر تلك الدلالة: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص405.

[4] انظر دلالة في على المحلية أو الظرفية المكانية: ابن هشام، مغني اللبيب، ج2، ص513.

أرض المحشر مما يرفع الوهم عن قربه منها وعدم دخوله فيها، وأكد المحلية بعطف المرادف: "وصعيد المنشر".

وبين البدء والانتهاء أبرز الخطيب جوانب أخرى من أهميته بعدة وسائل لغوية، منها: تذكير المتلقين بأنه كان موطن إبراهيم صلى الله عليه وسلم: "فهو موطن أبيكم إبراهيم" وهذا التذكير من شأنه استدعاء الموروث الإسلامي المعظم لمكانة خليل الرحمن عند الله وعند المسلمين وتلك المكانة تنسحب على المكان الذي اختاره الله تعالى لخليله وهو بيت المقدس، واختار الخطيب: "أبيكم إبراهيم" دون نبيكم وأضافه إلى ضمير المتلقين لإبراز علاقة النسب بينه وبينهم بجانب علاقة النبوة المعلومة بمجرد ذكره صلى الله عليه وسلم وهو ما يزيد الارتباط بينه وبين المسلمين وهم أولى به عن غيرهم ممن لم يتبعه كما جاء في قوله تعالى: {إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ}[1]، وإبراز تلك العلاقة معبر عن استحقاقهم السيادة على بيت المقدس والحفاظ عليه عن غيرهم، وأتبع الخطيب ذكر خليل الرحمن أبي الأنبياء إبراهيم صلى الله عليه وسلم بذكر خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم: "ومعراج نبيكم محمد عليه السلام" ليعبر بذكر أبي الأنبياء وخاتمهم عن شمول استحقاقهم السيادة عليه كل الأزمنة[2]. ومنها: التذكير بكون بيت المقدس أول القبلتين: "وقبلتكم التي كنتم تصلُّون إليها في ابتداء الإسلام"، وفي هذا التذكير أضاف القبلة إلى الضمير العائد على المتلقين الفاتحين ونسب إليهم الصلاة إليه في ابتداء الإسلام وذلك موافق للواقع الديني ومخالف للواقع الزمني؛ إذ تنسب القبلة الأولى والصلاة إليها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين الأوائل، ومخالفة الخطيب الواقع الزمني فيه إيحاء بأن الفاتحين الصلاحيين

---

[1] آل عمران، الآية: 68.

[2] انظر دلالة العطف على الشمول: عفت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، ص238.

امتداد للمسلمين الأوائل وتعبير عن اتصال نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم بالمسلمين الفاتحين في كل العصور، وأعاد الخطيب التذكير بالقبلة الأولى قبل انتهاء هذا الجزء من الخطبة: "وهو أول القبلتين" لتأكيد منزلته؛ إذ جعله الله تعالى القبلة الأولى للركن الثاني من أركان دينه القويم في بدء بعثة خاتم أنبيائه ورسله عليه وعليهم الصلاة والسلام.

ومنها: تكرار الخطيب ذكر بيت المقدس عن طريق الضمائر المتصلة العائدة عليه: "قواعده، فإنه، بنيانه، فإنه، خلفه، يديه، قبلتكم، تصلون إليها، ذكرها الله، صلى فيه، بعث الله إليه، لا تشد إلا إليه، لا تعقد إلا عليه" للاستلذاذ بذكره والرغبة في اتصال بقائه في أذهان المتلقين[1]، وأكد الرغبة في هذا البقاء في أذهانهم بتكرار الضمير المنفصل: "فهو موطن، وهو مقر، وهو في أرض المحشر، وهو في الأرض المقدسة، وهو البلد، وهو المسجد، وهو أول القبلتين" فضلا عن التعظيم النابع من الإشارة إليه بضمير الغياب وهو ماثل أمام أعينهم[2]. كما كرر ذكره عن طريق تكرار صيغة اسم المكان: "موطن إبراهيم، معراج محمد، مقر الأنبياء، مقصد الأولياء، مفر الرسل، مهبط الوحي، منزل تنزل الأمر والنهي، مسجد" لإبراز العلاقة بين الملائكة والأنبياء والرسل والأولياء وبين بيت المقدس وهي حلولهم فيه حلولا دائما: "موطن، مقر" أو غير دائم: "معراج، منزل"، ومن شأن تلك العلاقة إعمال الذهن في سبب اختيار صفوة خلق الله بيت المقدس وجهة لهم وهو ما يكشف عن قدسيته وأهميته.

---

[1] انظر تلك الدلالة: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص487. وانظر دلالة تكرار الذكر على الاستعذاب: محمد عبد المطلب، جدلية الإفراد والتركيب، ص141.

[2] انظر تلك الدلالة: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص326.

ومنها: قصر شد الرحال على المسجد الأقصى بفلسطين بعد المسجد الحرام بمكة المكرمة ومسجد الرسول بالمدينة المنورة وهو ثالثهم؛ دون غيره من المساجد: "لا تُشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه" وهو من القصر الحقيقي بـ"لا، إلا" الذي ينفي شد الرحال عن غيره من المساجد بعد الحرمين الشريفين، ويمكِّن تلك الدلالة ويقررها في ذهن المتلقي[1]، وأكد الخطيب اختصاص الأقصى بذلك بعد الحرمين دون غيره بعدة وسائل منها: التضمين[2] بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إلا إلى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: مسجدِ الحرامِ، ومسجدِي هذا، والمسجدِ الأقصى"[3]، وبتكرار أسلوب القصر في قالب العطف ذي الدلالة على الترادف مع جملة المعطوف عليه: "ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه"، وألح على تأكيد قدسيته وأهميته وتثبيت ذلك بالكناية[4] عن الاتفاق على الحفاظ عليه بعقد الخناصر[5]، كما أسهمت صورة عقد الخناصر في إبراز

---

[1] انظر القصر وأقسامه وأدواته ودلالته: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح، ج2، ص3 وما بعدها.

[2] انظر التضمين ودلالته على تأكيد المعنى المقصود: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص326، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1990م.

[3] سنن أبي داود، ج3، ص378، ح 2033، ت. شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، 2009م. وحكم المحقق: إسناده صحيح. وأخرجه البخاري (1189)، ومسلم (1397)، وابن ماجه (1409)، والحميدي (973). والنسائي في "الكبرى" (781) من طريقين عن الزهري، بهذا الإسناد. وأخرجه مسلم (1397) من طريق سلمان الأغر، عن أبي هريرة: أن رسول الله- صلَّى الله عليه وسلم- قال: "إنما يسافَر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء". وهو في "مسند أحمد" (7722)، و(7191): والمسجد الحرام، و(7248): ومسجدي. وابن أبي شيبة (7538): لا تشدوا. و"صحيح ابن حبان" (1619). وله لفظ آخر في سنن ابن ماجة (1410): "لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا" وحكم المحقق: حديث صحيح، وأخرجه البخاري (1188)، ومسلم بإثر الحديث (1338) / (415)، والترمذي (326) من طريق عبد الملك بن عمير، عن قزعة، عن أبي سعيد وحده. والآثار (148). و"صحيح ابن حبان" (1617)، و"شرح مشكل الآثار" (578). وله صور أخرى في مسند أبي داود (1445)، (2628). ومصنف عبد الرزاق (9158)، (9159). وابن أبي شيبة (15543). والبخاري (1197)، (1864)، (1995). ومسلم (415)، (511). والبزار (7963).

[4] انظر دلالة الكناية على تثبيت الأمر وتأكيده: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص189.

[5] انظر: أحمد مختار عمر وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة خنصر ص702. وفيه: "عقدوا عليه الخناصر: اتفقوا وحافظوا عليه".

الجانب العملي للاتفاق والحفاظ عليه وذلك موضح للجدية، وحشد المؤكدات السابقة لتأكيد اختصاص الأقصى بشد الرحال من شأنه إبراز أهميته وقدسيته بعد الحرمين الشريفين.

وفي هذا الجزء من الخطبة عاد الخطيب إلى الإشارة إلى استحقاق الفاتحين المسلمين السيادة على بيت المقدس عن طريق التعريض بالصليبيين الذين جعلوا من نبيهم إلها افتراء على الله تعالى، وهذا التعريض بهم ينفي عنهم الاستحقاق في السيادة على بيته المقدس، وألح الخطيب على ذلك بتأكيد ضلالهم وكفرهم ووضع عيسي صلى الله عليه وسلم موضعه من النبوة والعبودية لله بعدة وسائل، منها: التدليل بالآيات الشريفة. وتأكيد ضلالهم بالمفعول المطلق وتبيين غاية الضلال بالوصف[1]: "وضلوا ضلالا بعيدا". وتأكيد عبوديته لله ونبوته بتكرار الألفاظ الدالة عليهما: "عبده ورسوله، شرفه الله برسالته، كرمه بنبوته، لم يزحزحه عن رتبة عبوديته".

تشريف الفاتحين باسترداد بيت المقدس، وفضل بيت المقدس عليهم:

بعد ذكر الخطيب بعضا من جوانب منزلة بيت المقدس وأهميته انتقل إلى استثمار تلك الأهمية في تشريف الفاتحين الصلاحيين بفتحهم بيت المقدس؛ إذ تشريف المستردِ حسب منزلة المستردَ، وهو ما يبرز حاجة المسلمين إليه لنيل شرف السيادة عليه وشرف الجهاد في سبيل الله الذي قدس هذا البيت وبارك ما حوله. ومن حيثيات التشريف التي ذكرها الخطيب: تخصيص الله تعالى لهم بفتح بيت المقدس على أيديهم واصطفاء الشهداء منهم وإثابته إياهم على جهادهم في سبيله، وهي نعم توجب عليهم حمد الله عليها. وربطُ فتحهم بيت المقدس بغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم والفتوحات

[1] انظر المفعول المطلق ودلالاته: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج2، ص172 وما بعدها، ت. محمد محي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980م.

الإسلامية الأولى التي نشر بها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته –رضوان الله عليهم جميعا– دين الله في أرضه وجاهدوا ملل الشرك والكفر من مشركي العرب واليهود والمجوس ونصارى الروم والمرتدين والخوارج، وهذا الربط يضع استردادهم بيت المقدس في مرتبة تلك الفتوحات ويجعل منهم امتدادا لصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم. وإضفاء الخطيب على التهاني والابتهاج باسترداد بيت المقدس صفة العموم فهي تشمل السماء والأرض.

ولارتباط تشريف الفاتحين الصلاحيين بمنزلة بيت المقدس ألح الخطيب على تذكيرهم بجوانب أخرى من جوانب منزلته، منها: تعظيم الملل له. وثناء الرسل عليه. وإمساك الله الشمس عن الغروب ليتمكن يوشع عليه السلام من فتحه وهو مضمون الحديث الشريف: "إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت القدس"[1]. وتليت فيه كتب الله المنزلة. وأمر الله تعالى نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ومن معه باستنقاذه من جباري زمانهم لمنزلته فكان جوابهم: {قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}[2]، فاستحقوا عقاب الله تعالى لتقاعسهم ومعصيتهم أمر الله وأمر نبيه. كما أعاد تذكيرهم بذكر الله تعالى له في كتابه العزيز وبمعجزتي الإسراء والمعراج.

وقد أشار الخطيب إلى جانب من جوانب منزلة بيت المقدس وهو أن الله جعله سببا لجمع الفاتحين المسلمين كلمتهم على الجهاد في سبيله بعد تناحرهم من أجل الأمور الدنيوية، ولتوحيد صفوفهم بعد تفرقهم.

---

[1] مسند أحمد، ح8298، ج8، ص275، ت. أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، 1995. وأورده الطحاوي في شرح مشكل الآثار (1069)، (1070)، والقطيعي في جزء الألف دينار (239). وله رواية أخرى مطولة أوردها الحاكم في المستدرك على الصحيحين (2618)، والطبراني في المعجم الأوسط (6600) تذكر مدينة أريحا. وذكر الشيخ الألباني: أن له أربع طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه وحكمه صحيح وأورد أقوال العلماء في أن الصواب مدينة بيت المقدس، انظر: الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ح(202)، ج1، ص393 وما بعدها، مكتبة المعارف، الرياض، 1995م.

[2] المائدة، الآية: 24.

وقد أبرز الخطيب التشريف ومنزلة بيت المقدس وفضله على الفاتحين بعدة وسائل لغوية، منها: الإطناب في التعبير عن اختيار الله تعالى الفاتحين الصلاحيين من عباده لينالوا فضيلة استرداد بيت المقدس: "ولولا أنكم ممن اختاره الله من عباده" بالمرادف الدلالي عن طريق العطف: "واصطفاه من سكان بلاده" وهو مؤكد لاصطفاء الله لهم. والإطناب في وصف الفضيلة بالموصول وصلته: "خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجارٍ" وتضمنت جملة الصلة تخصيص الفاتحين بفضيلة الفتح عن طريق نفي المشاركة فيها وبتقديم الضمير العائد عليها على الفاعل: "فيها"، وكرر القالب التركيبي لجملة الصلة بالعطف: "ولا يباريكم في شرفها مبار" والترادف الدلالي بين جملة المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد تخصيصهم بفضيلة الفتح ونفي المشاركة والمنافسة فيها، وألح الخطيب على تأكيد تخصيصهم بفضيلة الفتح بتقديم شبه الجملة المتضمنة ضميرا عائدا على الفاتحين على الفاعل: "ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية"، وبإعادة ذكر لفظ التخصيص وإتباعه بالمرادف الدلالي عن طريق العطف: "فله المنة عليكم بتخصيصكم بهذه النعمة، وترشيحكم لهذه الخدمة".

ومنها: شغل مساحة لا بأس بها في أذهان المتلقين باستدعاء الفتوحات الإسلامية الأولى التي كانت جهادا ضد جميع ملل الكفر من أجل نشر دين الله واعتمد على الإطناب بالعطف لتفصيل تلك الفتوحات إلحاحا على استدعائها: "ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية، والوقعات البدرية، والعزمات الصديقية، والفتوح العمرية، والجيوش العثمانية، والفتكات العلوية، جددتم للإسلام أيام القادسية، والوقعات اليرموكية، والمنازلات الخيبرية، والهجمات الخالدية"، وهذا الاستدعاء المفصل يعد تشريفا لهم بأنهم على نهج الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته وسبب التشريف هو استردادهم بيت المقدس، واعتمد على التوازي بين مكونات الفواصل لإحداث أثر موسيقي يعزز

الاستدعاء في أذهانهم، ومن اللافت للنظر أن الخطيب صاغ الجملة الأولى التي ربط بها بين استرداد بيت المقدس والفتوحات الإسلامية الأولى في قالب الخبر المعتمد على الفعل الماضي الدال على التحقيق: "ظهرت على أيديكم المعجزات النبوية" دون التشبيه: فتح بيت المقدس كالفتوحات الإسلامية الأولى، ليخرج عن إمكانية وجود مفارقة بينهما[1] إلى تحقيق الاتفاق، بمعنى أن العدول عن التشبيه يوحي بأنه لا فرق بين الفتح الصلاحي لبيت المقدس والفتوحات الإسلامية الأولى وذلك يجعله أكثر لصوقا بتلك الفتوحات، وذلك اللصوق معبر عن صدق نهج الفاتحين واتباعهم جيل الإسلام الأول على اعتبار المسلمين أمة واحدة ضد ملل الكفر.

وبعد تمهيد الخطيب بوضع استرداد بيت المقدس في مرتبة الفتوحات الأولى انتقل إلى نتيجة هذا الوضع المتمثلة في الجزاء على الاسترداد مستثمرا الجزاء في تشريف آخر يستمد قيمته من عظمة المجازي سبحانه وتعالى: "فجزاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء، وتقبل منكم ما تقربتم به إليه من مهراق الدماء، وأثابكم الجنة فهي دار السعداء" وصاغ الخطيب الجزاء في الدعاء بالفعل الماضي: "جزاكم، شكر لكم، تقبل منكم، أثابكم" دون المضارع لإضفاء تحقق الحدوث على الجزاء بإذن الله، وألح عليه بتكرار الدعاء، وبالمرادف الدلالي: "بذلتموه، تقربتم به"، وشموله جميع الفاتحين من شهداء وجرحى ومن

---

[1] توضيح ذلك أن التشبيه يكون بين طرفين بينهما اشتراك من وجه وافتراق من وجه آخر ويبطل التشبيه بتمام الاشتراك بين الطرفين أو تمام الافتراق بينهما، وهو المفهوم من قول السكاكي: "لا يخفى عليك أن التشبيه مستدع طرفين مشبها ومشبها به واشتراكا بينهما من وجه وافتراقا من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس فالأول كالإنسانين إذا اختلفا صفة طولا وقصرا، والثاني كالطويلين إذا اختلفا حقيقة إنسانا وفرسا، وإلا فأنت خبير بأن ارتفاع الاختلاف من جميع الوجوه حتى التعيين يأبى التعدد فيبطل التشبيه لأن تشبيه الشيء لا يكون إلا وصفا له بمشاركته المشبه به في أمر والشيء لا يتصف بنفسه، كما أن عدم الاشتراك بين الشيئين في وجه من الوجوه يمنعك محاولة التشبيه بينهما" مفتاح العلوم، ص439، ت. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م. وانظر أيضا: محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، ص28.

لم يصب[1]: "من مهجكم، من مهراق الدماء"، وبتكرار المادة اللغوية للجزاء: "جزاكم أفضل الجزاء" وتبيين وصفه[2]: "أفضل" ليقابل أفضلية بيت المقدس المسترد بإذن الله. ولعلو هذا الجانب من جوانب تشريف الفاتحين دعاهم الخطيب إلى المحافظة على بيت المقدس سبب التشريف: "فاقدروا- رحمكم الله- هذه النعمة حق قدرها، وقوموا لله تعالى بواجب شكرها".

ولارتباط التشريف بأهمية بيت المقدس أعاد الخطيب إبراز جوانب أخرى من جوانب منزلته وقدسيته، منها: إبراز عظمة النتائج المتسببة عن فتحه: "فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء، وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء. وابتهج به الملائكة المقربون، وقر به عينًا الأنبياء والمرسلون"، وأكد السبب وهو الفتح بضمير الفصل[3]: "هو" والحاجة إلى التأكيد نابعة من تعدد نتائجه وعظمتها، وإبراز عظمة الفواعل المتأثرين بفتحه: "الملائكة، الأنبياء والمرسلون"، والإشارة إليه: "هذا" لصحة تمييزه واستحضاره في الذهن بوضعه في نطاق المحسوسات[4]، وبناء الفعل للمفعول: "فتحت" لتعظيم فاعل النتيجة الأولى مما يضفي العظمة على سببها، وتقوية العلاقة المنطقية بإقامة علاقة صوتية بين السبب والنتيجة عن طريق الجناس: "الفتح، فتحت"، وقصر النتائج المتعددة على السبب بتقديم الضمير العائد على الفتح على الفواعل: "فتحت له، تبلجت بأنواره، ابتهج به، قر به"، وحلق الخطيب بخياله ليضفي على نتيجة التأثر بالفتح صفة العموم بشموله أهل السماء والأرض: "فيوشك أن تكون التهاني به بين أهل الخضراء، أكثر من

---

[1] وذلك لاحتمال: "تقربتم به إليه من مهراق الدماء" الدلالة على دماء الفاتحين الذين أصيبوا والدلالة على إسالة الفاتحين دماء الكفار الصليبيين، والدماء في الحالين للتقرب إلى الله.

[2] انظر المفعول المطلق ودلالاته وما ينوب عنه: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج2، ص172 وما بعدها.

[3] انظر تلك الدلالة: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص409.

[4] انظر تلك الدلالة: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح، ج1، ص67.

التهاني به بين أهل الغبراء"، وفي هذا التعبير إشارة إلى أهمية الفتح وقدسية بيت المقدس عن طريق التخيل المعبر عن تأثر صفوة خلق الله من الملائكة أكثر من تأثر البشر عن طريق الكناية عن الطرفين: "أهل الخضراء، أهل الغبراء"، وبالغ الخطيب في التعبير عن اقتراب التخيل من التحقق بإسهام الكنايتين في إبراز شدة تأثر أهل السماء بالفتح عن أهل الأرض عن طريق التذكير بأفضلية أهل السماء بإثبات الكناية الأولى الأفضلية[1] بالتدليل عليها من ارتباط اللون الأخضر في الأذهان بالخير والنماء، وإثبات الكناية الثانية دونية البشر عنهم بالتدليل عليها من ارتباط الغبار بالضرر، ولكن بقي كل ذلك دون الوقوع: "يوشك".

ومنها: الاعتماد في إبراز أهمية بيت المقدس وعظمته على الاستفهام وهو إشارة إلى تجاوز الخطيب إثبات أن استرداد بيت المقدس نعمة منَّ الله بها على الفاتحين الصلاحيين إلى مطالبتهم بالفعل المقابل للنعمة: "فماذا له عليكم من النعمة بأن جعلكم الجيش الذي يفتح على يديه البيت المقدس في آخر الزمان"، والاستفهام يضمن تفاعل المتلقين مع الخطيب فضلا عن شغل الأذهان بالتفكير في طرق مقابلة النعمة. وأكد العظمة بالاستفهام التقريري النابع من عدم جهل المتلقي بما استفهم عنه[2]: "أليس هو البيت الذي ذكره الله في كتابه"، وأسهم العدول عن الأسلوب الخبري إلى الاستفهام لتقرير أهمية بيت المقدس من جهة ذكر الله تعالى إياه في كتابه؛ في تفاعل المتلقين مع الخطيب والتفاعل أدعى إلى تقرير تلك الأهمية، وألح على أهميته من تلك الجهة بالمرادف

[1] انظر دلالة الكناية على إثبات الصفة للموصوف: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص306، ت. محمود محمد شاكر، الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م.

[2] انظر دلالة الاستفهام على التقرير والمقصود بالتقرير: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح، ج2، ص39.

الدلالي عن طريق العطف: "ونص عليه في خطابه"، وبإيراد دليل الذكر وهو الآية الأولى من سورة الإسراء التي تبرز أهمية بيت المقدس المكانية في معجزتي الإسراء والمعراج.

ويعد تكرار الخطيب للاستفهام التقريري إلحاحا على إبراز منزلة بيت المقدس وتقرير تلك المنزلة في أذهان المتلقين على اعتبار أنها حقيقة لا جدال فيها: "أليس هو البيت الذي عظمته الملل؟ .. أليس هو البيت الذي أمسك الله عز وجل لأجله الشمس على يوشع أن تغرب؟ .. أليس هو البيت الذي أمر الله موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان؟". واعتمد الخطيب في هذا التقرير على التذكير بارتباط بيت المقدس بمعجزات الله تعالى الخارقة لقوانين الطبيعة التي اعتادها البشر ومنها معجزتا الإسراء والمعراج، ومعجزة إمساك الله الشمس عن الغروب لأجل فتح بيت المقدس وقصر تلك المعجزة على بيت المقدس عن طريق تقديم المجرور المتضمن ضميرا عائدا عليه على المفعول: "أمسك الله عز وجل لأجله الشمس".

وأبرز الخطيب فضل بيت المقدس على المسلمين الفاتحين بعدة وسائل، منها: المقابلة الدلالية بينهم وبين بني إسرائيل زمن موسى صلى الله عليه وسلم وخلوصها لصالح الفاتحين الصلاحيين، ولكون المقياس في المقابلة هو اتباع أوامر الله تعالى في الجهاد من أجل بيت المقدس فتحقيق المقابلة لأفضلية الفاتحين الصلاحيين- الذين استجابوا بالفعل لنداء بيت الله المقدس واستردوه وطهروه- على بني إسرائيل الذين تقاعسوا وعصوا أمر الله؛ معبر عن فضل بيت المقدس على الفاتحين في تحقيق تلك الأفضلية: "أليس هو البيت الذي أمر الله موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان[1]، وغضب عليهم

---

[1] من قول الله تعالى في سورة المائدة: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ {20} يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ {21} قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ {22} قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {23} قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ

لأجله فألقاهم في التيه عقوبة للعصيان. فاحمدوا الله الذي أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو إسرائيل وقد فضلهم على العالمين"، وعزز أفضلية الفاتحين على اليهود في المقابلة بذكر عدد من استجاب لأمر نبيه منهم: "رجلان" وهو عدد لا يقاس بحشود الفاتحين المسلمين، وبالمفارقة بين تفضيل الله بني إسرائيل على العالمين قبل الإسلام: "وقد فضلهم على العالمين" وبين عصيانهم أمر الله وتقاعسهم وجبنهم: "نكلت"، وعمق تلك المفارقة بتأكيد الطرف الثاني وهو التفضيل بـ: "قد"[1]، وهذه المفارقة تعبر عن أن الفاتحين المسلمين في مرتبة أعلى في الفضل من صفوة اليهود[2] بالواقع الفعلي لجهادهم وتطهيرهم مقياس التفضيل بيت المقدس. ومن اللافت للنظر أن الخطيب قد اعتنى بالتعبير عن أفضلية الفاتحين الصلاحيين على اليهود بتعميم أفضلية الفاتحين الصلاحيين على جميع من تقاعس عن استرداده ممن سبقهم من الأمم على اختلافهم: "ووفقكم لما خذل فيه من كان قبلكم من الأمم الماضين"، وذكره العام: "الأمم الماضين" بعد الخاص: "بنو إسرائيل" يعد تأكيدا[3] على أفضلية الفاتحين الصلاحيين عليهم.

ومنها: قصر جمع الله كلمة الفاتحين الصلاحيين على بيت المقدس مما جعله السبب الوحيد لجمعهم، وذلك بتقديم شبه الجملة المتضمنة ضميرا عائدا عليه على المفعول: "جمع لأجله كلمتكم"، وأكد ذلك القصر بالتعبير عن ثبوت فضل بيت المقدس

فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ {24} قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ {25} قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ {26}

[1] انظر دلالة قد على التحقيق والتأكيد: ابن هشام، مغني اللبيب، ج2، ص544، ت. عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، الكويت، 2000م.

[2] التعبير بالصفوة لأن المقصودين بالذكر هنا من عاصروا نبيهم موسى عليه الصلاة والسلام وعلى الرغم من هذا عصوه وتقاعسوا عن أمره في دخول بيت المقدس، وإن كانت الصفوة في تلك المرتبة الدونية فما بال العصابات الصهونية الآن.

[3] انظر دلالة ذكر العام بعد الخاص على الاعتناء بالخاص: علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ص241، مكتبة الآداب، القاهرة، 2002م. وانظر دلالته على التأكيد: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص471.

في جمع كلمة المسلمين الفاتحين على اعتباره نقطة الفصل بين التشتت والجمع وذلك بالمقابلة[1] بين حالهم من الشتات والتفرق قبل التوجه للفتح وبين الاجتماع من أجل الفتح: "جمع، شتى". وألح الخطيب على تأكيد فضله عليهم بالتكرار الدلالي لتقرير ذلك الفضل في أذهانهم وذلك باعتباره نقطة الفصل بين ما كانوا عليه من الاقتتال الداخلي من أجل المصالح الدنيوية[2] مدة مستغرقة في الزمن: "أن كنتم" وبين ما صاروا عليه من نيل شرف إضافتهم إلى الضمير العائد على الله تعالى: "وجعلكم بعد أن كنتم جنودا لأهويتكم جنده"، وعدل الخطيب أفقيا بالمفعول والضمير المضاف إليه: "جنده" ليضعهما في بؤرة اهتمام المتلقين باحتلال كلمة الفاصلة، ويكون آخر ما يقرع أسماعهم منها إضافتُهم إلى الضمير العائد على الله تعالى، ومن شأن هذا العدول زيادة تقرير فضل بيت المقدس عليهم إذ حولهم من الاقتران بالأهوية: "أهويتكم" إلى جند الله تعالى. كما ألح على تقرير ذلك الفضل بالإطناب المفصل للعلاقة المنطقية المتمثلة في أسباب كونهم جند الله الذين طهروا بيت المقدس من الشرك والأدناس وإماطة الأذى عن طرق الملائكة والنتائج المترتبة عليها من استغفار الملائكة لهم والصلاة عليهم وذلك غاية الفضل من الله تعالى: "وشكركم الملائكة المنزلون على ما أهديتم إلى هذا البيت من طيب التوحيد، ونشر التقديس والتمجيد والتحميد. وما أمطتم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث، والاعتقاد الفاجر الخبيث. فالآن تستغفر لكم أملاك السموات، وتصلي عليكم الصلوات المباركات"، ودعم تقرير فضل بيت المقدس عليهم بقصر استغفار الملائكة لهم دون غيرهم والصلاة عليهم تعظيما لجهادهم في استرداده وذلك بتقديم الضمير العائد عليهم

[1] انظر أثر المقابلة في ثبوت الدلالة: عفت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، ص214.

[2] انظر أحوال المجتمع الإسلامي قبيل الحروب الصليبية وما تخلله من صراعات داخلية وخارجية في أقطار الدولة الإسلامية: محمود شلبي، حياة صلاح الدين، ص11 وما بعدها، دار الجيل، بيروت، ط3، 1989م.

على الفاعل: "أملاك" والمفعول به: "الصلوات"وتضمن القصر إشارة إلى نقطة الفصل الزمني بيت المقدس بين حالهم قبل الفتح وبعده: "فالآن". ودعم القصر بربط النتيجة: "استغفار الملائكة لهم وصلاتهم عليهم" بالسبب: "تطهيرهم بيت المقدس" عن طريق صورتين اعتمد فيهما على تقابل طرفي التشبيه في الأولى منهما لطرفي التشبيه في الثانية: "إهداء طيب التوحيد، وإماطة أذى الشرك" وللتقابل أثر في تقرير السبب المتمثل في مظاهر التطهير من إهداء الطيب وإماطة الأذى، ودعم ذلك التقرير بالإيحاء بلصوق الطيب الذي قدموه هدية لبيت المقدس بالتوحيد، ولصوق الأذى الذي أحدثه الصليبيون بالشرك؛ عن طريق نزع أداة التشبيه[1]. وأدخل فيهما المعقولات: "التوحيد، التقديس، التمجيد، التحميد"، و"الشرك، التثليث، الاعتقاد الفاجر الخبيث" في عالم المحسوسات: "طيب، نشر"، و"أذى" لتكون تلك المعقولات أكثر إدراكا في الأذهان[2] وهو ما أسهم في تقرير النتيجة شكر الملائكة لهم بسبب جهادهم، كما يمثل إدراك المعقولات بالحس مناسبة لحال مكان الخطبة بيت المقدس الذي تنبعث منه الروائح العطرة الناتجة عن تطهيره بماء الورد على أيديهم من دنس الصليبيين. وألح الخطيب على وضوح الصورة الأولى بحشد الأصوات ذات الوضوح السمعي[3] فضلا عن تكرارها في طرفي الصورة: "طيب ونشر"، "التوحيد والتقديس والتمجيد والتحميد"، من صوت اللين: "يـ" وأصوات شديدة: "ط، ب، ت، د، ق"، وأصوات متوسطة مجهورة: "ل، ن، م"، وأصوات مجهورة: "ر، ج"[4]. وفي الصورة الثانية حشد الخطيب أصوات الصفير: "ذ، ش، ث، ف"[1] الموحية

---

[1] قال ابن الأثير: "إن التشبيه المضمر أبلغ من التشبيه المظهر وأوجز أما كونه أبلغ فلجعل المشبه مشبها به من غير واسطة أداة فيكون هو إياه"، انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص377 وما بعدها.

[2] قال ابن الأثير عنه أنه أبلغ أقسام التشبيه لتمثيله المعاني الموهومة بالصور المشاهدة، انظر: ابن الأثير، المثل السائر، ج1، ص381.

[3] من الأصوات ذات الوضوح السمعي أصوات اللين والأصوات المتوسطة والمجهورة والشديدة، انظر ذلك: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص27 وما بعدها.

[4] انظر تفصيل أصوات اللين والأصوات الشديدة والمجهورة والمتوسطة: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص21-28.

بالانتشار والتفشي[2] بين طرفي الصورة: "أذى"، "الشرك والتثليث والاعتقاد الفاجر الخبيث" والصفير مناسب للتعبير عن انتشار أدناس الصليبيين في بيت المقدس قبل استرداده منهم، وانتشار الأدناس يوحي بجهد الفاتحين في إزالتها بما استحقوا به الشكر والاستغفار.

استرداد بيت المقدس نعمة تقتضي الشكر والحفاظ عليها:

بعد إبراز الخطيب فضل بيت المقدس على الفاتحين وما نتج عنه من نيل الحظوات في الدنيا والآخرة وهو ما يغبطهم عليها المسلمون بعدهم؛ انتقل إلى توجيه الفاتحين إلى شكر نعمة الله عليهم بأن جعلهم من خير عباده الذين استجابوا لنداء بيته المقدس فأثابهم فضلا في الآخرة يلزم عليهم الحفاظ عليه بقية حياتهم بتقوى الله، وفضلا في الدنيا بالتمتع بالصلاة في مصلى الرسول بالملائكة والأنبياء عليهم السلام والتمتع بشرف القيام على خدمة البيت الذي قدسه الله وهو ما يلزمهم بالحفاظ عليه واستئناف الجهاد لتطهير ما حوله من دنس الكفر.

وقد أبرز الخطيب تلك النعم وما يقتضيها من المحافظة عليها بعدة وسائل لغوية، منها: الاعتماد على الطلب لحث الفاتحين على الحفاظ على بيت المقدس وعلى ما أثابهم الله تعالى باسترداده: "احفظوا هذه الموهبةَ فيكم"، وتأكيد الحث بالمرادف الدلالي لضمان استجابتهم للطلب: "واحرسوا هذه النعمةَ عندكم"، والإلحاح على الحث بتكرار الطلب: "احذروا، خذوا، جاهدوا، احذروا" والإلحاح يكشف عن رغبة الخطيب الشديدة في الحفاظ على بيت المقدس لمنزلته وفضله على المسلمين، ومهد الخطيب للإلحاح عليهم

---

[1] انظر المقصود بأصوات الصفير وتفصيلها: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص66 وما بعدها.

[2] انظر إيحاء الأصوات بدلالة نابعة من صفاتها: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص65.

بالدعاء لهم عن طريق الاعتراض[1]: "رحمكم الله" لضمان استجابتهم للطلب والتخفيف من وطأة الإلحاح الآتي بعده، كما أوجد بالاعتراض علاقة منطقية بين الاستجابة المتمثلة في تقوى الله والحفاظ على بيت المقدس على اعتبارهما سببين وبين رحمة الله إياهم على اعتبارها نتيجة لهما مما مثل إغراء لهم للاستجابة إلى الطلب.

ومنها: الاعتماد في تحذيرهم من التقاعس عن الحفاظ على بيت المقدس على الطول الخطي بالإطناب والعطف ليتقرر التحذير في أذهانهم عن طريق بقائه فيها مدة طويلة: "واحذروا من اتباعِ الهوى، وموافقةِ الردى، ورجوعِ القهقرى، والنكولِ عن العِدى"، وعزز طول مدة بقاء الحذر في أذهانهم بانطواء كلمات الفواصل على المد بالألف المستغرق في الطول[2] فضلا عن وضوحه سمعيا مما يصبغ الدلالة بالوضوح، ويضفي استعمال المصدر على الحذر إطلاقا في الزمن مما يعني عموم الحذر كل زمان. واللافت للنظر أن الخطيب ربط بين الحذر من أجل الحفاظ على بيت المقدس وبين استكمال الجهاد لإزالة بقايا الصليبيين من حوله وهو ما يكشف عن رؤية الخطيب في أن الحفاظ على بيت المقدس يستلزم الحفاظ على ما حوله من إقليم: "وخذوا في انتهازِ الفرصة، وإزالةِ ما بقي من الغصة. وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه، وبيعوا- عبادَ الله- أنفسَكم في رضاه إذ جعلكم من خيرِ عبادِه"، وصور الخطيب لزوم عملية استئصال بقايا الصليبيين من إقليم بيت المقدس في صورة حسية متحركة مألوفة للمتلقين وهي الغصة التي تقف في حلق الطاعم أو الشارب فتكون حائلا مؤقتا بينه وبين التلذذ بما طعم يلزم عليه بالفطرة إزالتها عن موضعها في رد فعل سريع ليرسلها إلى معي الفناء. وعزز تلك

---

[1] انظر الاعتراض وأغراضه: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح، ج2، ص129 وما بعدها.

[2] المقصود بالطول هنا هو طول المدة الزمنية لنطق المد بالألف؛ إذ يقدره علماء الأصوات الأطول زمنيا، انظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص127 وما بعدها.

الصورة باستخدام أصوات موحية[1] بدلالة الغصة على الشقاء- المؤقت- فصوت الغين الحلقي الرخو المتطلب جهدا عضليا للنطق به؛ يوحي بذلك الشقاء، وصوت الصاد المطبق الرخو ذو الصفير العالي[2] المقلق للسمع بتكراره؛ يوحي بالقلق مما يستدعي السرعة في إزالته.

وإلحاحا على الربط بين الحذر وبين الجهاد لتقرير مواصلته على اعتبار أن الجهاد وسيلة الحفاظ على بيت المقدس؛ اعتمد الخطيب على التأكيد عن طريق تكرار مادة الجهاد اللغوية: "وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه". كما اعتمد على تقرير التضحية بالأعز في أذهانهم بتصوير جهادهم في عملية بيع وشراء والبائع هو الفاتح الصلاحي الذي استحق أن يطلق عليه من خير عباد الله ولذا استحق أن يكون المبيع أعز ما يملك وهي حياته الدنيوية لينال حياته الأخروية برضا الله تعالى: "وبيعوا- عبادَ الله- أنفسَكم في رضاه إذ جعلكم من خيرِ عبادِه". وعزز تلك الصورة بالتمثيل المقتبس من القرآن الكريم ليضاعف من التأثير عليهم بالتدليل بالآيات والتمثيل معا؛ لانتهاج تقوى الله تعالى والتواضع له ومواصلة الاعتصام بحبله المتين حتى لا يضيع أجر استردادهم لبيت المقدس هباء: "واحذروا- عبادَ الله- بعد أن شرفكم بهذا الفتحِ الجليل، والمنحِ الجزيل. وخصكم بهذا النصرِ المبين، وأعلق أيديكم بحبلِه المتين؛ أن تقترفوا كبيرا من مناهيه، وأن تأتوا عظيما من معاصيه، فتكونوا {كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا}[3]، و{الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ}[4]".

---

[1] المقصود هنا الصوت المفرد الذي يوحي بذاته بدلالة ما تزيد على الدلالة المعجمية للكلمة، انظر تفصيل ذلك مع التطبيق: محمد صالح الضالع، الأسلوبية الصوتية، ص25 وما بعدها، دار غريب، القاهرة، 2002م.

[2] انظر مخرج صوت الغين وصفاته وصوت الصاد وصفاته: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص76 وما بعدها، وص66 وما بعدها.

[3] النحل، من الآية: 92.

[4] الأعراف، من الآية: 175.

بيت المقدس نقطة الانطلاق لاستكمال الجهاد والفتح:

بعد تقرير الخطيب أهمية الحفاظ على بيت المقدس على اعتبار استرداده نعمة تقتضي الشكر بتقوى الله تعالى؛ رفع نبرة الخطاب بنداء الجهاد ملحا على الفاتحين الصلاحيين بمواصلة نصر الله تعالى لينصرهم بتطهير بقية الأرض المقدسة من دنس أعدائه الصليبيين واستئصال شأفتهم واجتثاث شجرة الكفر وفروعها من الأرض المقدسة ومما حولها على اعتبار بيت المقدس قاعدة الجهاد ومركز الانطلاق إلى نشر دين الله تعالى على الأرض، وأثناء الإلحاح على الجهاد أبرز الخطيب الواقع العملي من ضعف الصليبيين بعد انتصار الفاتحين الصلاحيين عليهم ودحرهم وقتل طواغيتهم وقادتهم وأسر كبرائهم، في مقابل زيادة قوة الفاتحين بنصر الله تعالى إياهم، وهو ما يعد إغراء للفاتحين بسهولة القضاء على بقية الصليبيين. واللافت للنظر أن الخطيب ختم خطبته الأولى بالآيات التي نزلت في يهود بني النضير[1] أول سورة الحشر: {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {1} هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ {2} وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ {3} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[2]، ولعل القصد من إيراد الآيات ما فيها من مشابهة حال الصليبيين الذين تحصنوا في الأرض المقدسة وعلى الرغم من هذا انتصر عليهم المسلمون ودحروهم عن بيت المقدس ومصيرهم جهنم لكفرهم بالله تعالى؛ لحال اليهود الذين احتموا بحصونهم في

---

[1] انظر: الواحدي، أسباب نزول القرآن، ص435 وما بعدها، ت. كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

[2] الحشر، الآيات: 1-4.

المدينة عندما غدروا بالرسول صلى الله عليه وسلم فأذلهم الله بأيدي المؤمنين وأجلاهم عنها ومصيرهم جهنم لكفرهم بالله تعالى، وعلى هذا فتلك المشابهة معززة لإغراء الخطيب الفاتحين بمواصلة الجهاد على اعتبار قوتهم المستمدة من نصر الله لهم في مقابل ضعف الذين كفروا من أهل الكتاب من اليهود والصليبيين لقذف الله الرعب في قلوبهم. ولعل استدعاء الخطيب ذكر كفار اليهود منبه للمسلمين للحذر من طمع طوائف الكفر- على اختلافهم- في بيت الله المقدس وليس الصليبيين فحسب، وهو ما غاب عنا حديثا.

وقد أبرز الخطيب دعوته الفاتحين بمواصلة الجهاد بعدة وسائل لغوية، منها: الاعتماد على أسلوب الإغراء: "والجهادَ الجهادَ فهو من أفضلِ عباداتِكم، وأشرفِ عاداتِكم"، وكرر فيه كلمة الجهاد لتقرع أسماعهم ويتقرر في أذهانهم، وبيَّن عموم أفضليته للآخرة والدنيا بالجمع بين العبادة والعادة. ومنها: تعزيز الإغراء بالجهاد لتقريره بتكرار قالب تركيبي ذي طبيعة شرطية تتسم الروابط التركيبية بين مكوناته بالقوة[1]: "انصروا اللهَ؛ ينصرْكم، احفظوا اللهَ؛ يحفظْكم، اذكروا اللهَ؛ يذكرْكم، اشكروا اللهَ؛ يزدْكم ويشكرْكم" مما زاد من قوة العلاقة المنطقية بين السبب: "انصروا الله" والنتيجة: "ينصركم" فضلا عن تكرار المادة اللغوية للنصر والحفظ والذكر والشكر في النتائج، وتلك القوة تضفي على النتائج حتمية الترتب على الأسباب أو بمعنى آخر يقرر الخطيب في أذهان المتلقين حتمية نصر الله إياهم حال جهادهم الصادق في سبيله.

ومنها: تعزيز الإغراء بالجهاد بالتأثير البصري على المتلقين الناتج عن تتابع تصوير الجهاد للتخلص من بقية الصليبيين ودحرهم عن إقليم بيت المقدس وأراضي المسلمين؛ في عدة صور حسية متحركة تتكون في ذهن المتلقي وكأنه يراها رأي العين: "خذوا في حسمِ

[1] انظر التراكيب ذات الطبيعة الشرطية وتميزها بالترابط الداخلي: محمد عبد المطلب، جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، ص178 وما بعدها، لونجمان، القاهرة، ط2، 2004م.

الداء، وقطعِ شأفةِ الأعداء. وطهروا بقيةَ الأرضِ من هذه الأنجاسِ التي أغضبت اللهَ ورسولَه، واقطعوا فروعَ الكفرِ واجتثوا أصولَه" في الأولى صور الجهاد ضد بقية الصليبيين بعملية قطع مستأصل لعيب أو علة أصابت جسد الأمة الإسلامية، وفي الثانية ألح على الصورة الأولى بتخصيص الداء في الشأفة[1] التي تصيب القدم ويسهل استئصالها لتحديدها وسهولة رؤيتها، وفي الثالثة صور بقية الصليبيين وأعمالهم بالنجس الذي أصاب الأرض المباركة وجهاد الفاتحين يزيله ويطهرها منه بسهولة لسهولة رؤيته أيضا للإشارة إليه: "هذه الأنجاس"، وفي الرابعة صور كفر الصليبيين بشجرة على الفاتحين اجتثاث أصلها وقطع فروعها بالجهاد.

ومنها: الإلحاح على الجهاد بتكرار الطلب مصاحبا للإغراء بسهولة القيام به: "واعلموا- رحمكم الله- أن هذه فرصةٌ فانتهزوها، وفريسةٌ فناجزوها، وغنيمةٌ فحوزوها، ومهمةٌ فأخرجوا لها هممَكم وبرِّزوها، وسيِّروا إليها سرايا عزماتِكم وجهزوها" فالقضاء على بقايا الصليبيين مهمة وفرصة لأنهم بمثابة غنيمة سهلة الاقتناص وفريسة منتظرة من يأكلها، وأسهمت الفاء في صبغ الاستجابة المطلوبة من الفاتحين بالسرعة فضلا عن إسهامها في الربط بين الأسباب[2]: العلم بأن الصليبيين فريسة وغنيمة والقضاء عليهم فرصة ومهمة، وبين النتائج: الانتهاز والمناجزة والحوز والتبريز، مما أوجد علاقة منطقية تجعل من اقتناص فرصة القضاء على بقايا الصليبيين أمرا بدهيا لا يحتاج إلى الطلب أو الإلحاح عليه. وأسهم حشد الخطيب أصوات الصفير فضلا عن تكرارها في الأسباب

---

[1] التخصيص هنا من ذكر الخاص وهو الشأفة بعد العام وهو الداء، فالداء: اسم جامع لكل مرض وعيب في الرجال ظاهر أو باطن. والشأفة: قرحة تخرج في القدم وقيل في أسفل القدم وقيل هو ورم يخرج في اليد والقدم، انظر: ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ص1448، ص2176، ت. عبد الله على الكبير وفريق عمل، دار المعارف، القاهرة.

[2] انظر دلالة الفاء على التعقيب والربط بين السبب والمسبب: ابن هشام، مغني اللبيب، ج2، ص479، ص485

والنتائج: "ذ، ف، ص، س، ز" في الإيحاء بطلب سرعة الاستجابة من الفاتحين للتجهز للجهاد بما يشبه الإعلان عنه ببوق ذي صوت عال منبه للآذان.

تشريف قائد الفتح والانطلاق إلى حكم العالم:

بعد انتهاء الخطيب من الخطبة الأولى شرع في الخطبة الثانية مخصصا إياها للدعاء للسلطان صلاح الدين الأيوبي قائد استرداد بيت المقدس، ومهد للدعاء بتعديد بعض أعمال صلاح الدين من تواضعه لله تعالى وشكره لنعمه، وإعماله السيف في سبيله والدفاع عن دينه، وذبه عن مدينة الرسول وبيوت الله المقدسة وتطهيره بيت المقدس من دنس الكفار، وجمع كلمة المسلمين، وقمع الصليبيين ودحرهم. ويبدو من الدعاء أن الخطيب اعتبر استرداد بيت المقدس نقطة الانطلاق إلى حكم الأرض ونشر دين الله تعالى فيها وإزالة الكفر عنها، وهنا إشارة إلى مقتطفات من دعائه: "اللهم عمَّ بدولتِه البسيطة. انشرْ في المشارقِ والمغاربِ دعوتَه. اللهم كما فتحت على يده البيتَ المقدسَ..؛ فافتحْ على يده دانيَ الأرضِ وقاصيها، وملِّكْه بفضلِك وكرمِك صياصي الكفرةِ ونواصيها. أنفِذْ في المشارقِ والمغاربِ أمرَه ونهيَه. اللهم وأصلحْ به أوساطَ البلادِ وأطرافَها، وأرجاءَ الممالكِ وأكنافَها. انشرْ ذوائبَ ملكِه برحمتِك على الأمصار، وابثُثْ سرايا جنودِه في سبلِ الأقطار"، فالخطيب يدعو الله تعالى أن يعم حكم صلاح الدين العالم مشارقه ومغاربه قاصيه ودانيه بعدما يسر الله تعالى له فتح بيت المقدس، ولعل هذا ما تبلور في ذهن الخطيب من الموروث الديني[1] فجعله يصدح بالدعاء به عسى أن يكون ذلك على

[1] وذلك من الأحاديث التي ذكر فيها أحداث بين يدي الساعة من قتال نصارى الروم واليهود وفتح قسطنطينية ورومية ونزول الخلافة بيت المقدس وخليفة المسلمين الذي يحكم الأرض ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام ونشر دين الله تعالى على الأرض، انظر بعض ذلك: صحيح مسلم، ح/ 100- 111، 116- 118، 124، 79-82. وصحيح البخاري، ح/3449، 3176، 2925، 2926، 3593. وسنن أبي داود ح/4286. مسند أحمد، ح/ 22487، المستدرك للحاكم/ 8309. ويعزز اعتماد الخطيب على تسلسل الأحداث الواردة

يد صلاح الدين، ولعل ارتباط الموروث الديني بقتال اليهود بين يدي الساعة والسيادة على العالم هو سر إلحاح الخطيب على ذكر اليهود والإشارة إليهم في أكثر من موضع في ثنايا خطبته.

وفيما أثر عن السلطان صلاح الدين ما يشير إلى أنه بعد فتح بيت المقدس تبلورت فكرة نشر السيادة على العالم في عقول المسلمين وبدت الرغبة في تنفيذها، وهو ما يتضح من حديث السلطان صلاح الدين مع القاضي ابن شداد: "أما أحكي لك شيئا؟ قلت: بلى. قال: في نفسي أنه متى يسر الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد وأوصيت وأودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم أتتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت"[1].

وهذا ما يوافق حديثا نظرية دوائر البركة لبيت المقدس، وهي في مضمونها تشير إلى أن السيادة على العالم تبدأ من بيت المقدس، وتستمد أركانها من المستجدات العالمية السياسية الحديثة ووقائع التاريخ الإسلامي، فقد بدا: "للمسلمين بكل جلاء وربما للمرة الأولى العناصر العالمية العملية لرسالتهم الجديدة وأظهرت لهم أن رسالتهم لم ولن تكون أمرا داخليا بل عالميا، إضافة إلى ذلك فقد تأكد لديهم أنه حتى مع معاناتهم المؤقتة فلن تنحصر رسالتهم داخل حدود مكة أو شبه الجزيرة العربية بل ستمتد لتصل إلى بيت المقدس ومنها إلى بقية العالم، ولا شك أن وصول رسالة الإسلام إلى بيت المقدس– مركز البركة– يعني وفقا لنظرية دوائر البركة لبيت المقدس أن هذه الرسالة سينبعث شعاعها من بيت المقدس ليمتد ويتسع ليصل إلى المستوى العالمي، بمعنى آخر فإن الدعوة الجديدة

في الأحاديث المشار إليها ومن بينها نزول الخلافة بيت المقدس؛ اعتقاده أن زمانه آخر الزمان ويتضح ذلك من إشارته في الخطبة الأولى: "فماذا له عليكم من النعمةِ بأن جعلكم الجيشَ الذي يُفتحُ على يديه البيتُ المقدسُ في آخرِ الزمان".

[1] ابن شداد، النوادر السلطانية، ص55.

ستخرج من طور المحلية إلى العالمية من خلال إشعاعها من مركز البركة في بيت المقدس، وهكذا لم يكن بيت المقدس مجرد أرض للأمل فحسب بل كان مصدرا للتغيير الجذري وبدايته وصولا للعالمية انطلاقا من بيت المقدس"[1].

خلاصة القراءة:

– فتح بيت المقدس توفيق من الله لعباد استحقوا السيادة عليه بإخلاص الإيمان والجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم بعد أن جمعت كلمتهم وعدتهم.

– يعد احتفال صلاح الدين قائد تحرير بيت المقدس وقادته وجنوده المجاهدين والأمة وعلمائها ومشايخها بنصر الله إياهم بالصلاة والحمد والشكر وتطهير مظاهر الكفر والتدنيس ونسبة النصر إلى الله تعالى؛ دالا على منزلة بيت المقدس.

– جهاد المسلمين في تحرير بيت المقدس لا يفرق بين كون من اغتصبه من الصليبيين أو اليهود أو غيرهم.

– حق السيادة على بيت المقدس لعباد الله المسلمين ما داموا مخلصين عبادتهم لله ومواصلين جهادهم ضد كل من دنس الأرض المقدسة بكفره وظلمه من صليبيين وصهاينة وغيرهم.

– سيادة المسلمين على بيت المقدس مقياس عزتهم وسبب تشريفهم دينيا ودنيويا.

– جهاد المسلمين لاسترداد بيت المقدس وبسط سيادتهم عليه وتطهيره من الشرك ومظاهره؛ مقياس اتباعهم نهج الرسول وصحابته.

– ارتباط صفوة خلق الله تعالى مكانيا ببيت المقدس كاشف عن قدسيته وأهميته.

---

[1] د. عبد الفتاح العويسي المقدسي، صناعة التاريخ المستقبلي– نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة وتوجيهها، ص6.

– حاجة المسلمين إلى بيت المقدس لنيل شرف السيادة عليه وشرف الجهاد في سبيل الله الذي قدس هذا البيت وبارك فيما حوله وخصه بالمعجزات الخارقة للطبيعة.
– استرداد بيت المقدس نعمة من الله تقتضي الشكر ومن مظاهر الشكر المحافظة عليه.
– لبيت المقدس الفضل في جمع كلمة المسلمين ووحدتهم، ونقطة الانطلاق لفتح العالم.
– الحفاظ على بيت المقدس يستلزم الحفاظ على ما حوله من إقليم.
– السيادة على العالم تبدأ من بيت المقدس.

المصادر

القرآن الكريم.
إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1999م.
دلالة الألفاظ، الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004م.
ابن أبي شيبة، المصنف في الأحاديث والآثار، ت. كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، 1409ه.
ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1990م.
ابن الأثير مجد الدين، البديع في علم العربية، ت. فتحي أحمد علي الدين، وصالح حسين العايد، جامعة أم القرى، 1421هـ.
ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، ت. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، 1972.
ابن تميم المقدسي، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، ت. أحمد الخطيمي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1994م.
ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ت. محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ت. شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1993م.

الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ت. شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م.

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ت. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م.

ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ت. جمال الدين الشيال، الخانجي، القاهرة، 1994م.

ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ت. خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ت. محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980م.

ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ت. الحافظ خان، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ.

ابن كثير، البداية والنهاية، ت. عبد الله التركي، دار هجر، مصر، 1997م.

ابن ماجه، السنن، ت. شعيب الأرناؤوط وفريق عمل، دار الرسالة العالمية، 2009م.

ابن منظور الإفريقي، لسان العرب، ت. عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة.

لسان العرب، دار صادر، بيروت.

ابن هشام، مغني اللبيب، ت. عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية، الكويت، 2000م.

أبو بكر البزار، البحر الزخار (المسند)، ت. عادل بن سعد، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 2009م.

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، ت. شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، 2009م.

أبو داود سليمان بن داود الطيالسي، المسند، ت. محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، 1999م.

أبو شامة المقدسي، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ت. إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م.

كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تعليق. إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو يعلى الموصلي، المسند، ت. حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، 1984م.

أحمد بن إبراهيم الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، ت. مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

أحمد بن حنبل، المسند، ت. أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، 1995.

- أحمد مختار عمر وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، 2008م.

الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، 1995م.

البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، ت. محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422هـ.

بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت. أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، 1957.

بهاء الدين ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ت. جمال الدين الشيال، الخانجي، القاهرة، ط2، 1994م.

الترمذي، الجامع الكبير (السنن)، ت. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ت. مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

الحميدي، المسند، حسن سليم أسد الداراني، دار السقا، دمشق، 1996م.

الذهبي، تاريخ الإسلام، ت. عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1993م.

الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ت. محمود الطناحي، دار هجر، مصر، ط2، 1413هـ.
السكاكي، مفتاح العلوم، ت. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
الصفدي، الوافي بالوفيات، ت. أحمد الأرناؤوط، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، 2000م.
طارق أحمد حجازي، الشيعة والمسجد الأقصى، من إصدارات لجنة الدفاع عن عقيدة أهل السنة، فلسطين.
الطبراني، المعجم الأوسط، ت. طارق بن عوض الله وعبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة، 1415ه.
الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت. أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 2000م.
الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ت. شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، 1415 هـ.
عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت.
عبد الرزاق الصنعاني، المصنف، ت. حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ط2، 1403هـ.
عبد الفتاح العويسي المقدسي، صناعة التاريخ المستقبلي- نماذج بيت المقدس لتفسير الأحداث المعاصرة وتوجيهها، دار الخلدونية، الجزائر، ط2، 2013م.
عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ت. محمود محمد شاكر، الخانجي، القاهرة، ط5، 2004م
عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة.
عبد الوهاب المسيري، الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2002م.
عفت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.
علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، مكتبة الآداب، القاهرة، 2002م.
علي الجندي، فن الجناس، دار الفكر العربي، القاهرة، 1954م.
العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار، القاهرة، 2004م.

الفتح بن علي البنداري، سنا البرق الشامي مختصر البرق الشامي للعماد الأصفهاني، ت. فتحية النبراوي، الخانجي، القاهرة، 1979م.

القطيعي، جزء الألف دينار من الفوائد المنتقاة والأفراد الغرائب الحسان، ت. بدر بن عبد الله البدر، دار النفائس، الكويت، 1993م.

محمد صالح الضالع، الأسلوبية الصوتية، دار غريب، القاهرة، 2002م.

محمد عبد المطلب، بناء الأسلوب في شعر الحداثة، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1995م.

جدلية الإفراد والتركيب في النقد العربي القديم، لونجمان، القاهرة، ط2، 2004م.

محمود شلبي، حياة صلاح الدين، دار الجيل، بيروت، ط3، 1989م.

محيي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير، دمشق، ط3، 1992.

مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ت. محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

النسائي، السنن الكبرى، ت. حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م.

الواحدي، أسباب نزول القرآن، ت. كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ت. عادل أحمد عبد الموجود وفريق عمل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

Kaynakça

Kur'ân-ı Kerim.

İbrahim Enis, el-Asvatu'l-Lugaviyye, el-Anglo el-Mısriyye, (2. Baskı), Kahire, 1999.

İbrahim Enis, Delaletü'l-Elfaz, el-Anglo el-Mısriyye, Kahire, 2004.

İbn Ebi Şeybe, el-Musannafu fi'l-Ehadis ve'l-A'sar, Thk: Kemal Yusuf el-Hut, Mektebetu'r-Rüşd, Riyad, 1409.

İbnü'l-Esir, el Meselü's-Sair fi Edebi'l-Kâtibi ve Şair, Thk: Muhammed Muhiddin Abdulhamid, el-Mektebetu'l-Asriyye, Beyrut, 1990.

İbnu'l-Esir Mecduddin, el-Bedi'u fi İlmi'l-Arabi, Thk: Fethi Ahmed Ali Eddin ve Salih Hüseyin el-Âbid, Camiatü'l-Ümmü'l-Kurra, 1421.

İbn Aybek ed-Devadari, Kenzu'd-Durar ve Camiü'l-Gurar, Thk: Said Abdulfettah Aşur, C.7, Kahire, 1972.

İbn Temim el-Makdisi, Musirü'l-Garam ila Ziyareti'l-Kudüs ve'ş-Şam, Thk: Ahmet el-Hutaymi, Daru'l-Cil, Beyrut, 1994.

İbn Cevzi, el-Müntazimü fi Tarihi'l-Ümemi ve'l-Muluk, Thk: Muhammed Abdulkadir Ata, Darü'l-Kutubi'l-İlmiyyi, Beyrut, 1992.

İbn Hibban, Sahih İbn Hibban bi Tertib İbni Balaban, Thk: Şuayb el- Arnavut, Muesesetü'r-Risale, Beyrut 1993.

İbn Hibban, el-İhsanu fi Takribi Sahihi İbni Hibban, Thk: Şuayb el- Arnavut, Muasesetü'r-Risale, Beyrut 1988.

İbn Hallikan, Vefayatü'l-Ayan, Thk: İhsan Abbas, Daru's- Sadır, Beyrut,1994.

İbn Şedded, En-Nevadiri's-Sultaniyye, Thk: Cemaluddin eş-Şeyyal, el-Hanci, Kahire, 1994.

İbn Adim, Zubtedü'l-Hal fi Tarihi Halep, Thk: Halil el Mansur, Daru'l-Kütubi'l-İlmiyye, Beyrut, 1996.

İbn Akil, Şerhu İbn-i Akil, Thk: Muhammed Muhyiddin, Daru't-Turas, Kahire, 1980.

İbn Kadi Şehbe, Tabakatu'ş-Şafiiyye, Thk: Hafız Han, Alemü'l-Kutub, Beyrut, 1407.

İbn Kesir, el-Bidaye Ve'n-Nihaye, Thk: Abdullah et-Türki, Daru'l- Hicr, Mısır, 1997.

İbn Mace, es-Sünen Thk: Şuayb el-Arnavut, Daru'r- Risaleti'l-Âlemiyye, 2009.

İbn Manzur, Lisanu'l-Arab, Thk: Abdullah Ali, Daru'l-Maarif, Kahire.

İbn Manzur, Lisanu'l-Arab, Daru's- Sadır, Beyrut.

İbn Hişam, Muğni'l-Lebib, Thk: Abdullatif el-Hatib, es-Silsiletü't-Türasi, Kahire, 2000.

İbn Ebi Bekir el-Bezzar, el Müsned, Thk: Adil İbnu Said, Mektebetü'l-Ulumu'l-Kahire, Medine-i Münevvere, 2009.

Ebu Davud Süleyman bin Eş'as es-Sicistani, es-Sünen, Thk: Şuayb Arnavut, Daru'r-Risaleti'l-Âlemiyye, 2009.

Ebu Davud Süleyman bin Davud et-Tayalisi, el-Müsned, Thk: Muhammed bin Abdulmahsun et-Türki, Daru Hicr, Mısır, 1999.

Ebu Şame el-Makdisi, Uyunu'r- Ravzateyn, Thk: İbrahim Ezeybek, Müessetü'r-Risâle, Beyrut, 1997.

Ebu Şame el-Makdisi, Kitabu Ravzateyn, Talik: İbrahim Şemsuddin, Darü'l- Kütubu'l-İlmiyye, Beyrut.

Ebu Ya'la el-Mevsıli, el-Müsned, Thk: Hüseyin Esed, Daru'l-Memun Li't-Turas Dimeşk, 1984.

Ahmed bin İbrahim el-Hanbeli, Şifau'l-Kulub Thk: Mediha Eş-Şarkavi, es-Sakafetü'd-Diniyye, Kahire.

Ahmed İbn Hanbel, el-Müsned, Thk: Ahmet Şakir, Daru'l-Hadis, Kahire 1995.

Ahmed Muhtar, Mu'cemu'l-Lugati'l-Arabiyye, Âlem'l-Kutub, Kahire, 2008.

Albani, Silsiletü'l-Hadisi's-Sahih, Mektebetü'l-Meârif, Riyad, 1995.

Buhari, el-Camiü'l-Müsnedü's-Sahih, Thk: Muhammet Züheyr b. Nasır, Daru Tevku'n-Necât, Hicri 1422.

Bedreddin ez-Zerkeşi, el-Burhan fi Ulumi'l-Kur'ân, Thk: Ebu'l-Fazl İbrahim, Darü't-Turas, Kahire, 1957.

Bahauddin İbn Şeddad, en-Nevadirü's-Sultaniyye, Thk: Cemaluddin Eş-Şeyyal, El-Hanici, Kahire, 1994.

Tirmizi, es-Sünen, Thk: Beşşar Maruf, Daru'l-Garbi'l-İslâmi, Beyrut, 1998.

Hakim, el-Mustedrak Ale's-Sahihayn, Thk: Mustafa Ata, Daru'l-Kutubi'l-İlmiyye, Beyrut, 1990.

Humeydi, el-Müsned, Hasan Selim Esed, Daru's-Seka, Dimeşk, 1996.

Zehebi, Tarihu'l-İslam, Thk: et-Tedmiri, Daru'l-Kitabi'l-Arabi, Beyrut, Lübnan, 1993.

Razi, Mefatihü'l-Gayb, Daru İhyai't-Turasi'l-Arabi, (3. Baskı), Beyrut, Hicri 1420.

Sübkî, Tabakatü'ş-Şafiiyye el-Kübra, Thk: Mahmud et-Tanahi, (2. Baskı), Darü'l-Hicr, 1413.

Sekkaki, Miftahu'l-Ulum, Thk: Abdulhamid Hindavi, Daru'l-Kutubi'l- İlmiyye, Beyrut, 2000.

Safedi, el-Vafi Bi'l-Vefiyyat, Thk: Ahmed el-Arnavut, Daru İhyai't-Turas, Beyrut, Lübnan, 2000.

Tarık Ahmed Hicazi, eş-Şia ve'l-Mescid-i Aksa, Min İstdirati Lecnetid-Difaa an Akideti Ehli's-Sünne, Filistin.

Taberani, el-Mu'cemü'l-Evsat, Thk: Tarık bin Avd, Daru'l-Harameyn, Kahire, 1415.

Taberi, Camiu'l-Beyan fi Te'vili'l-Kur'ân, Thk: Ahmed Şakir, Müessesetü'r-Risale, 2000.

Tahavi, Şerh Muşkilü'l-Âsar, Thk: Şuayb el-Arnavut, Müessesetü'r-Risale, 1415.

Abbas Hasan, en-Nahvü'l-Vâfi, Daru'l-Maarif, (3. Baskı), Kahire.

Abdurrezzak es-San'ani, el-Musannef, Thk: Habib el-A'zami, el-Meclisü'l-İlmi, (2. Baskı), Hint, 1403.

Abdulfettah el-Uveysi, San'atü't-Tarihi'l-Müstakbeli, Nemazicu Abdulfettah el-Uveysi, Beyti'l-Makdis li Tefsiri'l-Ehdesi'l-Muasıra ve Tevcihiha, (2. Baskı), Daru'l-Halduniyye, Cezayir, 2013.

Aabdulahir e- Cürcani, Delailü'l-İ'caz, Thk: Mahmud Şakir, el Hanci, (5. Baskı), Kahire,

2004.

Abdulmuteal es-Saidi, Bağiyyetü'l-İzah li-Telhisi'l-Miftah fi Ulumi'l-Belağa, Mektebetu'l-Adab, Kahire.

Abdulvehhab el-Mesiri, es-Sahyuniyye Ve'l-Unf min Bidayeti'l-İstitan ila İntifedatu'l-Aksa, Daru'ş-Şuruk, (2. Baskı), Kahire, 2002.

İffet eş-Şerkavi, Belagatu'l-Atıf fi'l-Kur'âni'l-Kerim, Daru'n-Nahdati'l-Arabiyyeti, Beyrut, 1981.

Ali el-Carim ve Mustafa Emin, el-Belağatu'l-Vadiha, Mektebetü'l- Adab, Kahire, 2002.

Ali el-Cundi, Fennü'l-Cinas, Daru'l-Fikri'l-Arabi, Kahire, 1954.

İmad el-İsfahani, el-Fethi'l-Kasyi fi'l-Fethi'l-Kudsi, Daru'l-Menar, Kahire, 2004.

Feth b. Ali el-Bendari, Sena el-Berki'ş-Şami Muhtasaru'l- Berki'ş-Şâmî li'l-İmad el-İsfahani, Thk: Fethiyye en-Nebravi, el-Hanci, Kahire, 1979.

Kati'î, Cuz'ü'l-Elf Dinar Mine'l-Fevaid'i'l-Muntekati Ve'l-Efradi'l-Ğaraibi'l-Hisan, Thk: Bedr b. Abdillah el-Bedr, Daru'n-Nefais, Kuveyt,1993.

Muhammed Salih ed-Dâli', el-Uslubiyyetü's-Savtiyyetü, Daru Garib, Kahire, 2002.

Muhammed b. Abdul Muttalib, Binau'l-Uslûb fi Şiiri'l-Hadase, Daru'l- Mearif, (2. Baskı), Kahire, 1995.

Muhammed b. Abdul Muttalib, Cedeliyyetü'l-İfrad ve'Terkib fi'n-Nakdi'l-Arabiyyi'l-Kâdim, Longman, (2. Baskı), Kahire, 2004.

Mahmud Çelebi, Hayatu's-Salahattin, Daru'l-Cil, (3. Baskı), Beyrut, 1989.

Muhyiddin ed-Derviş, İ'rabu'l- Kur'âni'l-Kerim ve Beyanehu, Daru İbni Kesir, (3. Baskı), Dimeşk, 1992.

Muslim b. el-Haccac, el-Musnedü's-Sahih, Thk: Muhammed Abdulbaki, Daru İhyai't-Turasi'l-Arabi, Beyrut.

Nesai, es-Sünenü'l-Kübra, Thk: Hasan Çelebi, Müessesetü'r-Risale, Beyrut, 2001.

Vahidi, Esbabu Nüzuli'l-Kur'ân, Thk: Kemal Zağlu, Darü'l- Kütübi'l-İlmiyye, Beyrut, 1991.

Vahidi, el-Vasit fi Tefsiri'l-Kur'âni'l-Mecid, Thk: Âdil Ahmet, Daru'l-Kutubi'l-İlmiyye, Beyrut, 1994.